الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون. تيارت

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مسار: تاريخ

مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة ماستر في تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الموسومة ب:

تاهرت من سقوط العاصمة إلى زوال العمران (296-612هـ/909-1216م)

إعداد الطالبتين:

- نوار شريفة

-حمو شيماء

اشراف الدكتور:

- حاج عيسى إلياس

لجنة المناقشة:

اعضاء اللجنة	الصفة
- الدكتور. عليلي محمد	رئيسا
- الدكتور. حاج عيسى إلياس	مشرفا مقررا
- الاستاذة. بورملة عربية	مناقشا

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/2020-2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»

طه – الآية 114– صدق الله العظيم

اهداء

إلى من قال فيهما الرحمان:

«وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً».

أمي التي ساندتني بصلاتها وبدعائها، نبع الحنان والعطف

وأبي أعز رجل في الكون

إلى من شاركت معهن حياتي أخواتي الغاليات منى وآية

إلى أخي العزيز حسين وزوجته حميدة

إلى ملاكنا الصغير إلياس عبد الجبار

إلى كل من أحب ويحبني

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا راجية من الله أن ينفعنا به.

حمو شيماء

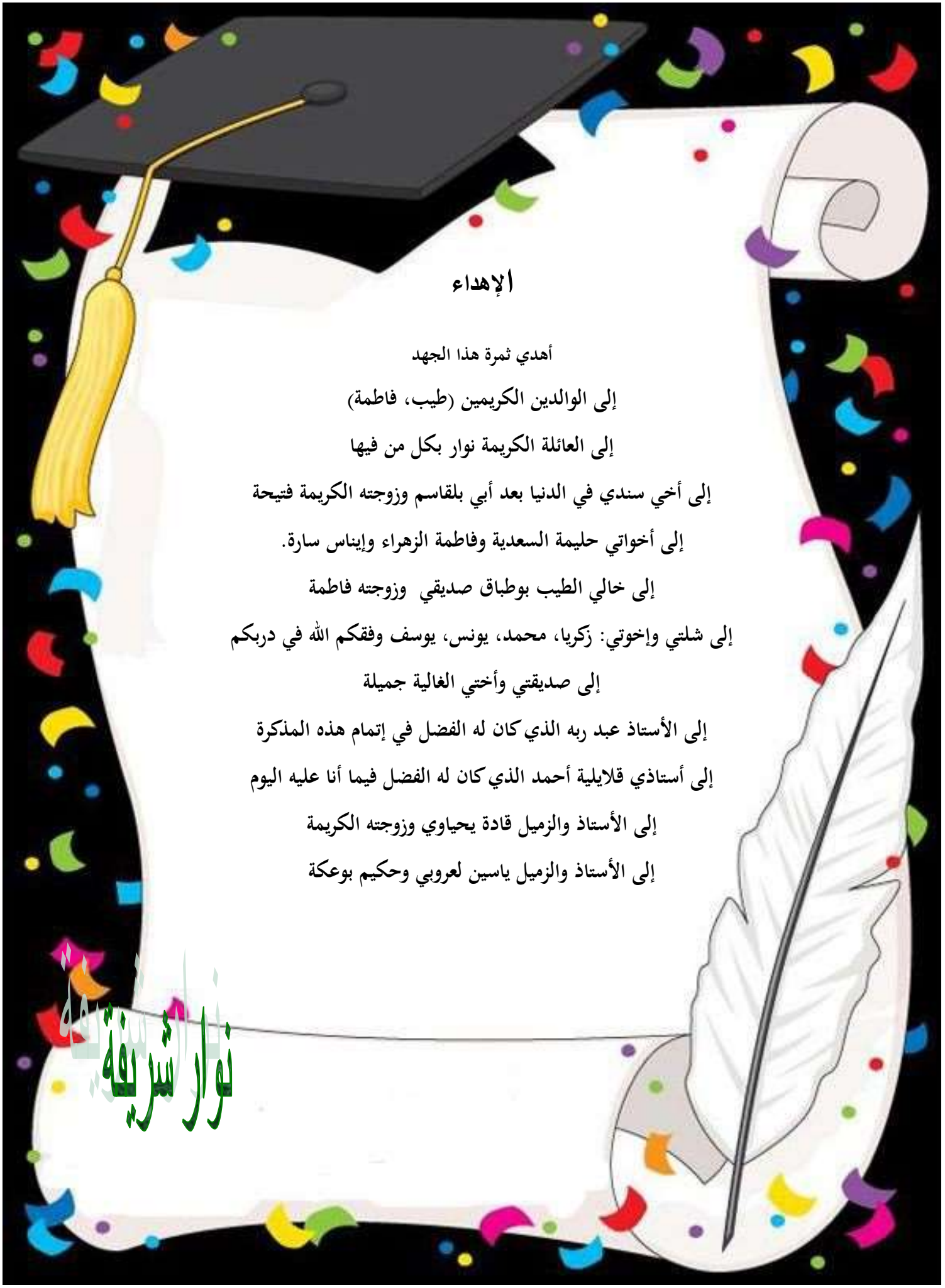

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد

إلى الوالدين الكريمين (طيب، فاطمة)

إلى العائلة الكريمة نوار بكل من فيها

إلى أخي سندي في الدنيا بعد أبي بلقاسم وزوجته الكريمة فتيحة

إلى أخواتي حليمة السعدية وفاطمة الزهراء وإيناس سارة.

إلى خالي الطيب بوطباق صديقي وزوجته فاطمة

إلى شلتي وإخوتي: زكريا، محمد، يونس، يوسف وفقكم الله في دربكم

إلى صديقتي وأختي الغالية جميلة

إلى الأستاذ عبد ربه الذي كان له الفضل في إتمام هذه المذكرة

إلى أستاذي قلايلية أحمد الذي كان له الفضل فيما أنا عليه اليوم

إلى الأستاذ والزميل قادة يحياوي وزوجته الكريمة

إلى الأستاذ والزميل ياسين لعروبي وحكيم بوعكة

نوار شريفة

شكر وعرفان

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وعلى أهله ومن أوفى أما بعد:

إذا قلنا شكرا فالشكر لن يوفيكم حقا سعيتم فكان سعيكم مشكورا.

كل الاحترام والتقدير إلى كل من ساهم في إتمام هذه المذكرة، وعلى رأسهم الدكتور الفاضل حاج عيسى إلياس، الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيمة، فكان خير مثال للمشرف الموجه، فبفضله تعلمنا كيفية التعامل مع المصادر التاريخية وتحليل ما فيها من معطيات وتعلمنا الصبر في البحث الأكاديمي.

كما نشكر أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم لمناقشة بحثنا، وكلنا يقين أننا سنستفيد من تجربتهم وملاحظاتهم القيّمة.

كل الاحترام والشكر إلى الدكتور راكة عمر الذي لم يبخل علينا بالمصادر النادرة التي أفادتنا في بحثنا.

إلى الدكتور شعلال إسماعيل الذي وفر لنا ما نحتاجه من كتب

إلى بوسيف حسان موظف بمكتبة العلوم الاجتماعية والإنسانية نتقدم له بكل معاني التقدير والاحترام والامتنان، حقا كان خير العون

وإلى كل من كان له الفضل لبلوغنا هذه المرتبة

إلى كل من لقننا حرفا شكرا جزيلا.

قائمة المختصرات:

مج	مجلد
ط	طبعة
ج	جزء
ت	توفي
تح	تحقيق
هـ	هجري
م	ميلادي
د ت	دون تاريخ نشر
دم	دون مكان نشر
د د ن	دون دار نشر
تر	ترجمة
ص	صفحة
ع	العدد
ع خ	عدد خاص
تع	تعديل

مـــقدمـــة

مقدمة:

تعتبر تاهرت الرستمية أول عاصمة لدولةٍ مستقلة بأرض المغرب الأوسط ،بناها عبد الرحمان ابن رستم، حيث شهدت في فترة ما بعد التأسيس عصرها الذهبي، فازدهر بها العمران وعظم شأنه، نشط الاقتصاد وانعكس بالإيجاب على المدينة، فأصبحت نموذجاً في الحياة التجارية الواسعة التي قادت القوافل التجارية إلى البلدان المجاورة لها، ساعدت هذه العوامل على الارتقاء بالوضع الفكري والثقافي بالمنطقة، فأصبحت تسمى بغداد المغرب لازدهار العلوم بها وكثرة علمائها.

استمرت المدينة على حالها من تطورٍ ورقي إلى غاية ظهور الأزمات والفتن التي أدت إلى ضعفها، فتدهورت الأوضاع الداخلية بها، ومع تزايد التهديد الخارجي لها سقطت الدولة الرستمية سنة (296هـ/909م) على يد الدولة الفاطمية الناشئة.

وموضوع بحثنا يعالج الأحداث التاريخية التي مرّت على تاهرت بعد سنة(296هـ) والموسوم ب: **تاهرت من سقوط العاصمة إلى زوال العمران(296-612هـ/909-1216م).**

تكمن أهمية الموضوع الذي بين أيدينا في كونه دراسة تاريخية تصف حال مدينةٍ إسلامية بعد سقوطها، في فترة تعد مِن أحلك الفترات، التي مرت على تاريخها وذلك أن هذا النوع من الدراسات يّمكننا من معرفة الأحداث السياسية والعسكرية التي تسببت في التأثير على عمرانها.

ونحن بطبيعة الحال لم نكن السّباقين في دراسة الأحداث التي شهدتها تاهرت بعد سنة (296هـ)، فالباحث **البشير بوقاعدة** قد خصّص لها جزئية في رسالته لنيل شهادة الماجستير الموسومة ب: **خراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين (296هـ/909م- 557هـ/1152م)**،حيث تحدث عن خراب عمران تاهرت في فترة العبيديين والزّيريين، وقد كانت دراسته محدّدة باعتباره يتحدث عن كل المدن المخربة بالمغرب الأوسط، فلم تشمل دراسته المدينة في جانبها الاقتصادي والثقافي والاجتماعي.

أما موضوع بحثنا فهو مخصّص لتاريخ تاهرت، أي أن دراستنا ستكون شاملةً ملمّةً بجميع الأحداث التي مرّت على المدينة بعد سنة 296هـ إلى غاية زوال العمران 612هـ.

ومن هذا المنطلق اخترنا موضوع بحثنا للأسباب التالية:

أولا: رغبة منا في كشف الغموض عن الجانب الحضاري لتاهرت بعد السقوط الرستمي، لأن معظم الدراسات التاريخية اهتمت بتاريخها قبل السقوط لوفرة المعلومات.

ثانيا: باعتبارنا ابناء المنطقة أردنا الإحاطة أكثر بتاريخها، وحاولنا معرفة مصيرها بعد السقوط.

إن معظم الدراسات الحديثة عن مدينة تاهرت تخبرنا بأنها كانت رستمية خلال العصر الوسيط، وقلّ ما نجدها تتحدث عن المدينة في فترة ما بعد الرستميين، وإن تحدثت فلم تعطها حقها من الدراسات مثلما فعلت مع تاهرت الرستمية. علما أن المدينة ظلت قائمة بعد سقوطها زهاء ثلاثة قرون.

نتساءل عن سبب غياب تاهرت على مسرح الأحداث الحضارية المؤثرة بعد السقوط الرستمي؟ نتساءل عن مصير سكانها الذين أتوا إليها من كل مكان أيام الرستميين على حدّ وصف ابن الصغير. وعن مصير عمرانها وكيف انتهى به الحال إلى الزوال؟ وهل زال فعلا أم أن مدينةً أخرى قد أُسّست على أطلالها؟ ونتساءل عن مدى استمرارية الدور الحضاري لتاهرت بعد السقوط؟

من أجل الإجابة على هذه التساؤلات اتبعنا المنهج التاريخي، باعتبارنا نتحدث عن تاريخ مدينة في فترة زمنية ماضية (296-612هـ)، إذ نسعى إلى استرجاع تلك الحقبة وفهم حقيقتها، فاعتمدنا وصف عمرانها وتدهوره، والبحث عن أسبابه ودوافعه، واجتهدنا في استقراء الجوانب الحضارية للمدينة طيلة هاته الفترة رغم شحّ الشواهد التاريخية، كما وظّفنا الإحصاء في تعداد محطّات التخريب وتحديد فئات المجتمع التاهرتي وحاولنا تفسير دوافع التخريب ونتائجه. ونحسب أن هذا المنهج قد أوصلنا إلى الخطة التالية:

قسمنا بحثنا إلى فصل تمهيدي وفصلين وخاتمة، بدأناه بمقدمة.

الفصل التمهيدي عنونّاه ب: **تداعيات سقوط الدولة الرستمية**. حيث تحدثنا فيه عن تعريف العمران، وتطرقنا إلى ذكر التركيبة الاجتماعية لسكان تاهرت في سنواته الأخيرة وختمناه بالحديث عن فترة الضعف الرستمي قبل سقوط الدولة وأسبابه.

أما الفصل الأول المعنون ب: **التبعية السياسية والعسكرية لتاهرت من السقوط حتى زوال العمران (296-612هـ/909-1216م)**.تحدثنا فيه عن التبعيات السياسية التي مرّت على تاهرت، فذكرنا الدخول الشيعي للمدينة والأعمال التخريبية التي اتّهموا بها، بالإضافة إلى ردّ فعل سكان تاهرت سواءً الأئمة الرستميين أو قبيلة زناتة، ثم بعد خروج الشيعة من تاهرت ذكرنا تولية بلكين بعدهم، وتطرقنا إلى الحديث عن حملته التخريبية على المنطقة، مرورا إلى أثر الصراع الصنهاجي الزناتي على عمران المدينة، وختمناه بذكر آخر وقيعة لتاهرت مع الموحدين.

أما الفصل الأخير جاء بعنوان: **المظاهر الحضارية لتاهرت بعد سقوط العاصمة (296هـ/909م)**. تناولنا فيه حالة عمران المدينة بعد انهيارها إلى غاية زوالها، ثم ذكرنا التركيبة الاجتماعية لسكان المدينة بعد (296هـ)، فسكان تاهرت قبل السقوط ليسوا نفسهم بعده، وتطرقنا إلى الوضع الاقتصادي للمدينة بعد تدهورها ثم ذكرنا حال العلماء التاهرتيين إبان هذه الفترة.

وأنهينا بحثنا بخاتمة كانت عبارة عن استنتاجات حول هذا الموضوع.

من خلال تقصّينا لهذا البحث اعتمدنا على مجموعة المصادر والمراجع التي أفادتنا في الإلمام بالموضوع، لعل من أهمها:

أ) كتب الطبقات:

1- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ) صاحب كتاب طبقات المشائخ أصله من أسرة إباضية كانت تسكن بجبل نفوسة، والجدير بالذكر أن عائلته الشريفة قد قامت بدور عظيم في نشر الإسلام بالمغرب، حيث يعتبر كتاب الطبقات مصدرا مهما في التعريف بالمغرب الإسلامي ورجاله . ولولا هذا الكتاب القيم لما عرفنا الحقبة التاريخية الممتدة من القرن الثاني هجري إلى القرن السابع هجري ، والذي أفادنا في الإلمام بالأحداث التاريخية المتعلقة بالدخول العبيدي إلى تاهرت.

2- أبو زكرياء الورجلاني(ت 471هـ/1078م) أحد شيوخ المذهب الإباضي له أجوبة وفتاوى في علم الكلام ورسائل في الفقه ، عاش في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة بورجلان ونُسب

إلى المدينة، له حلقات علم وهو صاحب كتاب سير الأئمة وأخبارهم الذي أفادنا في الفصل الأول حول الخروج العبيدي من مدينة تاهرت وتولية بلكين بعدهم.

ب) كتب الجغرافيا:

1- أبو القاسم ابن حوقل (ت 367هـ/978م): يعد محمد ابن حوقل البغدادي الموصلي أحد علماء البلدان المسلمين فقد كان رحالة وجغرافيا لا يعرف تاريخ ميلاده على وجد الدقة، ذاع صيته في القرن الرابع هجري. بدأ رحلاته عام 331هـ غادر من بغداد ودخل إلى المغرب وصقلية وطاف بلاد الأندلس، جمع معلومات كثيرة ودقيقة عن البلدان التي تجول فيها ودرس صفات شعوبها ووضع كل ما جمعهم في كتابه صورة الأرض الذي أفادنا في معرفة المظاهر الحضارية لتاهرت بعد سقوط الرستميين.

2- الشريف الإدريسي(ت 560هـ/1166م): يُعد جغرافيا و كاتبا وراسما للخرائط كتب في الأدب والشعر ، درس الفلسفة والطب والنجوم في قرطبة حدد إتجاهات الأنهار والبحيرات وضمها أيضا إلى معلومات المدن ، وسبب شهرته كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق يُعد من أشهر الآثار الجغرافية العربية استفاد منه المستشرقون في دراسة البلاد الإسلامية ، الذي أفادنا في الفصل الأخير الخاص بدراسة الجانب الإقتصادي للمدينة تاهرت بعد 296 هـ.

كتب التاريخ:

1- ابن عذاري المراكشي (كان حيا في سنة 712هـ/1312م)صاحب كتاب، **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** الذي عاش في فترة قيام الموحدين، ويعد من المصادر الأساسية في تاريخ المغرب الإسلامي إلى غاية عهد الموحدين، والذي أفادنا في الفصل الأول حول الدخول الشيعي إلى المدينة، وفي معرفة من تعاقب على حكم تاهرت من العبيديين بالتفصيل.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، (ت808هـ/1405م) في كتابه **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.** يعتبر مؤَلفُمهم لا غنى عنه لكل الباحثين في تاريخ المغرب الإسلامي لأنه يذكر الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت عليه، وقد

أفادنا في ذكر التركيبة الاجتماعية لسكان تاهرت في أجزاءه الرابع والسادس والسابع، وأفادنا في معرفة أثر الصراع الموحدي- المرابطي على تاهرت.

3- مقدمة ابن خلدون أيضا أفادنا كثيرا في استنباط بعض الأفكار الخاصة بتأثير العصبية على ازدهار المدن وضعفها، وفي الوضع الاقتصادي.

أما أهم المراجع التي أرشدتنا في بحثنا هذا نذكر :

1- **ابراهيم بحاز** في كتابه **الدولة الرستمية (دراسة في والمجتمع والنظم)**الذي أفادنا في ذكر التركيبة الاجتماعية لسكان تاهرت الرستمية.

2- **عبد الكريم جودت** في كتابه **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط**. الذي مكننا من استنباط ومعرفة الأوضاع الاقتصادية لتاهرت أيام العبيديين.

بالإضافة إلى مقال **ظاهرة خراب المدن بالزاب والمغرب الأوسط** لشخوم سعدي، الذي أعطى لنا صورة عامة للجانب الحضاري لتاهرت بعد (296هـ).

لكن ما صعّب علينا سيرورة عمل بحثنا هو قلة المادة العلمية المتخصّصة، حيث أن جُلّ الدراسات الأكاديمية توحي لنا بأن مدينة تاهرت كان رستمية خلال العصر الوسيط، وهي تُعرض عن تاريخها بعد سقوط الرستميين إلا نادرا، علما بأن المدينة قد عمّرت أكثر من قرنين ونصف كما ذكرنا سابقا، فتوزعت المعلومات الخاصة بهذه الفترة في المصادر وكتب الرحالة الجغرافيين ما تطلب منا بحثا كاملا في كل المصادر المتحدثة عن ناهرت.

الفصل التمهيدي: تداعيات سقوط الدولة الرستمية

1) تعريف العمران.

2) التركيبة الاجتماعية لسكان تاهرت الرستمية.

3) عصر الضعف الرستمي(250-296هـ).

إن تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط حافل بالأحداث والمواضيع الهامة الجديرة بالدراسة، لعل أهمها موضوع الدولة الرستمية ونخص بالذكر عاصمتها تاهرت فقد شهدت تطورا عمرانيا انعكس بالإيجاب على كل المجالات: الاقتصادية، السياسية، الثقافية والاجتماعية، وان ذكرنا التطور الاجتماعي فلا بد لنا من فهم سبب هذا التطور، وهو التركيبة الاجتماعية المتنوعة. فقد أدت سياسة الأئمة الرستميين المتسامحة فكريا ومذهبيا إلى تنوع التركيبة البشرية في المجتمع التاهرتي، الذي تكّون من عناصر مختلفة وأجناس متباينة ومذاهب متعددة، وسيتم التطرق أكثر إلى هذه الأجناس والتعريف بها في هذا الفصل.

فقد حكم الأئمة الرستميون مجتمعا خليطا حاولوا التحكم فيه بسلاسة من فترة حكم عبد الرحمان ابن رستم، الذي شهد عهده تطورا ملحوظا في كل المجالات واستمر الحال فترة طويلة إلى غاية عهد أبو بكر بن أفلح، حيث يعتبر عهد هذا الأخير البداية الأولى للضعف.

إن طبيعة موضوع بحثنا يعالج الأحداث التاريخية التي مرت على تاهرت بعد السقوط الرستمي (296- 612هـ/909- 1216م) فكان لابد لنا من ضبط مصطلح العمران باعتبارنا نتحدث عن زواله، وذكر التركيبة الاجتماعية للمجتمع التاهرتي في سنواته الأخيرة إلى غاية سقوط المدينة(296هـ/909م).

1) تعريف العمران:

لضبط مفهوم العمران يتوجب علينا استعراض المعنى اللغوي والاصطلاحي:

أ) العمران لغة:

- من عَمّر-يُعمّر —ويقال قد عمَّرته أي جعلت له عُمرا- أو عمرى، والعمرى المصدر من كل هذا. وفي الحديث: لا تعمروا ولا ترقبوا. فمن اعمر دارا وأرقبها فهي له ولورثته من بعده.[1]

يقال أيضا عمر الله بك منزلك، أي: أعمره وجعله آهلا، ومكان عامر هو مكان ذو عمارة.[2]

ب)العمران إصطلاحا:

يعتبر العلامة ابن خلدون عبد الرحمان من المؤرخين الأوائل الذين أعطوا للعمران تعريفا اصطلاحيا وفصّلوا فيه، حيث عرفه: بأنه المدينة، فقال أن الاجتماع الإنساني ضروري.

ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بطبعه، أي لابد له من الاجتماع والتجاور مع بني جنسه[3]، والعمران يعني أيضا السكن في موطن ما بصورة دائمة والعمل على إقامة بنيان هذا السكن وتأهيله، والعمل على تقدمه وازدهاره، وأن يصبح المكان مستقرا ومزروعا، آهلا بالناس والحيوانات والنباتات فيصبح بحلة حسنة، وهو ما يخالف الفقر والضياع والخراب[4].

ومن جهة أخرى يقول ابن خلدون أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء وهداه إلى التماسه بالفطرة، إلا أن القدرة لشخص واحد وحده قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، وأعطى ابن خلدون مثالا حيا يبرهن من خلاله ضرورة

---

[1]- ابن منظور، **لسان العرب**، تع: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط1، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مصر، 1119م، ص3101.

[2]- نفسه، ص3102.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تح: هيثم جمعة هلال، ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1428هـ- 2007، ص60.

[4]- فاطمة مطهري، **مدينة تاهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (ق302هـ/ 908م)**، (مذكرة لنيل شهادة ماجيستر في تاريخ المغرب الاسلامي)، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والاثار، تلمسان الجزائر، 2009// 2010م، ص12.

الاجتماع البشري في مكان واحد حيث قال: "إن قام شخص واحد بجمع مؤونته من القمح لابد له من أن يطحنها وأن يقوم بعجنها وطهيها على النار فيحتاج حدادا ونجارا وفاخوري... وأن كل من بعض الثمار فيحتاج مزارعا... فيستحيل أن يعيش الفرد لوحده، لابد له من تجاور وتساكن وهو ما يعرف بالعمران"[1].

2) التركيبة البشرية للمجتمع التاهرتي:

إن الدارس لتاريخ تاهرت سيصادف حتما تنوعا في سكانها واختلافهم، وكثرة أجناسها. فقد تمركزت بتاهرت قبائل بربرية وقوم من القيروان والكوفة ومن فاس، واجتمعت فيها المذاهب وأصحاب الديانات، اليهودية والمسيحية، ومنه يمكننا تقسيم المجتمع التاهرتي إلى عدة أجناس نذكرها مع التعريف.

أ) البربر:

شكّل البربر جمهور الدولة الرستمية وأغلب سكان المغرب الإسلامي بصفة عامة في ذلك الوقت،[2] نجدهم مجتمعين في قبائل عديدة نذكر منهم:

1- قبيلة نفوسة:

تعد من أوسع القبائل البربرية، موطنها الأساسي الجبل المعروف باسمها على بعد ثلاثة أيام من مدينة طرابلس[3]، ويذكر ابن الصغير في كتابه أن قبيلة نفوسة كانت لها أهمية كبيرة، فهي معروفة بمساندة الأسرة الرستمية الحاكمة في كل مواقفها، وأنها الدرع الحامي لها[4]، حيث كانوا مقربين من الأئمة في تاهرت، بنوا حيًّا خاصا بهم في المدينة لكثرتهم[5].

---

[1]-عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص60.

[2]- ابراهيم بحاز، **الدولة الرستمية (دراسة في المجتمع والنظم)(160هـ، 296هـ- 777، 909م)**، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون، رغاية، الجزائر، 2019، ص24.

[3]- نفسه، ص24.

[4]- ابن صغير، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر وابراهيم بحاز، دط، دار الغرب الاسلامي، ص24.

[5]- ابراهيم بحاز، **دراسة في المجتمع والنظم**، المرجع السابق، ص24.

2- قبيلة لماية:

قال ابن خلدون أن عبد الرحمان ابن رستم[1] لما نزل بالمغرب الأوسط، اجتمعت إليه القبيلة ويقصد لماية ووقع حلف بينهم وبايعوه بالخلافة وشرعوا في بناء مدينة تاهرت في سفح جبل كزول[2] وقبيلة لماية من القبائل الرئيسية التي احتضنت الدعوة الاباضية.[3]

3- قبيلة مزاته:

هي قبيلة غنية، ثرية بالأغنام. أموال قبيلة مزاتة كانت سببا في قيام الدولة الرستمية، وهي من أوقفت القتال بين الإمام أبي حاتم يوسف وعمه يعقوب بن أفلح، بسبب توسط أبو يعقوب المزاتي بينهما لما نزل بجماعة من مزاتة إلى تاهرت.[4]

4- قبيلة لواتة:

قال ابن الصغير أنها كانت تسكن تاهرت في عهد الإمام عبد الوهاب[5]، حيث كانت أمة عظيمة على حد قوله، كانت عندهم شكاوى عديدة على الإمام، وتخوف منهم عبد الوهاب حيث قال بأن رجاله قد نبهوه منها وحذروه من أن ينظموا إلى أعدائه إن لم يلبي مطالبهم.[6]

5- قبيلة هوارة:

ذكر ابن خلدون قبيلة هوارة وأخبرنا عن بطونها وقال بأن لها بطون كثيرة موطنها نواحي طرابلس وبرقة، كانوا مناصرين للإباضية[7].

---

[1]- عبد الرحمان ابن رستم، فارسي الأصل، جده بهرام من موالي الخليفة عثمان ابن عفان رافق الفاتحين إلى بلاد المغرب وفر إلى تاهرت سنة 144هـ...، أنظر إلى: محسن بربر، الإباضية ص 104.

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر**، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006، ص143.

[3]- أبو زكريا الورجلاني، **سير الأئمة وأخبارهم**، تح: اسماعيل العربي، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م، ص09.

[4]- ابراهيم، بحاز، المرجع السابق، ص24،25.

[5]- هو الإمام الثني في الدولة الرستمية ابن عبد الرحمان، كان نشاطه الخارجي مزدهر، قمع تمرد القبائل البربرية هوارة وزناتة...أنظر إلى تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، ص:40.

[6]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص43-44.

[7]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**ج6، المصدر السابق، ص272.

وذكرها ابن الصغير حيث قال: أن لهوارة ضمن سكان تاهرت كان لهم رؤساء يسال لهم الأوس، ويعرفون ببني مسالة، كما كان لهم وادي سمي باسمهم على بعد عشرة أميال إلى مغرب تاهرت، فعمروه من أعلاه[1]، كانوا كثيرين في العاصمة في عهد الإمام عبد الوهاب وكان قاضي أفلح[2] من قبيلة هوارة بإلحاح من مشايخ الاباضية[3].

6- قبيلة زناتة:

ذكرها بالتفصيل ابن خلدون وتحدث عنها، قال أنها انتشرت في أغلب ربوع المغرب الاسلامي خاصة المغرب الأوسط بالتحديد المجال الجغرافي للدولة الرستمية، حيث أنها أغلب ديار زناتة.[4]

من خلال ما ذكرناه عن القبائل البربرية وعلاقتها بالدولة الرستمية: نلاحظ أنها قد ساهمت بشكل أو بآخر في تثبيت معالم الدولة الرستمية سواءً من ناحية المال والجانب الاقتصادي الذي اهتمت به قبائل مزاتة، أو من ناحية الأمن الذي كان من أولويات قبيلة نفوسة أو زناتة الذين هم سكان تاهرت وتمركزوا بها، يمكننا القول: أن البنية الاجتماعية لتاهرت الرستمية كانت ترتكز على القبائل البربرية بشكل كبير مع أجناس أخرى سنتطرق إليها.

ب) العرب:

أسس الإمام عبد الرحمان ابن رستم مدينة تاهرت أولا وبعد تأسيس الدولة (160هـ) هاجر إليها العنصر العربي في شكل هجرات جماعية متفرقة واستقروا بها، وقد ساهموا في ازدهار الحضارة والعمران بها[5].

---

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص46.

[2]- أفلح ابن عبد الوهاب الإمام الثالث للدولة الرستمية بويبع بالخلافة سنة 190 هـ، أنظر: محسن بربر، الإباضية، ص92.

[3]- ابراهيم بحاز، **دراسة في المجتمع و النظم**، المرجع السابق، ص26.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص203.

[5]- محمد بوركبة، **الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/ 779م-909م)**،دط، دار الكفاية، الجزائر، 2017م، ص176.

وقد تحدث ابن الصغير عن التنوع الاجتماعي بتاهرت فقال: (ليس ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم، وابتنى بين أظهرهم)، أي استقر مع الإباضيين لما تتمتع به المدينة من رخاء وحسن سياسة أئمتها، الذي قال عنها ابن الصغير أنها عادلة وآمنة على النفس والمال، حيث وصف هذا التمازج بين الأجناس فقال: (...لا ترى دار إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذه لفلان اباضي، هذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد الكوفيين، وهذا مسجد البصريين...)[1].

قد ارتفعت الهجرة العربية إلى عاصمة الرستميين تاهرت من القيروان، لأن عبد الرحمان كان بها، وبعد انتقاله إلى المغرب الأوسط ونجاحه في تأسيس دولته، قام العرب المناصرين له بالرحيل إليه من أجل العيش في رحاب المذهب الإباضي[2]، من جهة أخرى ذكر ياقوت الحموي أن بعض العرب اليمنية، جاؤوا إلى تاهرت قصد التجارة واستقروا بها بعدما عرفوا أنها حلقة وصل ببلاد السودان[3].

إضافة إلى سياسية الأئمة الرستميين القائمة على التسامح المذهبي والعدل بين الرعية، فتمركز العرب بتاهرت والتُّجار وأقاموا بها[4].

لقد أثر الوجود العربي بمدينة تاهرت البربرية، على ثقافة سكانها، فتعلموا العربية وأتقنوها بسبب الدين، كما ساهم العرب في نقل حضارة المشرق إلى بلاد المغرب الإسلامي وخاصة تاهرت فتنوعت الثقافة وتمازجوا وتعرّب البربر بالمجاورة[5].

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص32.

[2]- محمود بوركبة، المرجع السابق، ص177.

[3]- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3،دار صادر بيروت للطباعة، لبنان، 1397هـ-1977م، ص358.

[4]- محمد بوركبة، المرجع السابق، ص181.

[5]- ابراهيم بحاز، **دراسة في المجتمع و النظم**، المرجع السابق، ص32.

ج) العجم:

وردت كلمة العجم مرات عديدة في كتاب ابن الصغير،[1] ويقصد بهم الفُرس الذين جاءوا إلى بلاد المغرب الإسلامي، في جيوش المسلمين الفاتحين، أو هم الذين جاؤوا مع جيوش الخلافة العباسية لإخماد ثورات البربر[2]. كان للعجم دور كبير في الأحداث السياسية للدولة الرستمية في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح، وأخيه اليقظان، أطلق عليهم ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية اسم العجم[3]وقد قال عنهم الحريري أنهم كانوا متميزين عن غيرهم من العرب داخل المجتمع الرستمي[4]،كما ساهموا في المجال العمراني بنوا القصور واحتكوا بالتُجار فنهضوا بالحياة الاقتصادية وذكر ابن الصغير ابن وردة الذي بنى سوقا عُرف به، وكان من العجم[5].

لقد بلغت العناصر الفارسية في الدولة الرستمية شأنا عظيما لأن الأئمة الرستميين أصلهم فارسي، فأوكلوا إليهم قيادة الجيوش وأسمى المناصب العليا، ففي عهد الإمام أبي بكر بن أفلح انضمت إليه عناصر أعجمية لمحاربة العرب والناقمين في حكمه من قبيلة هوارة[6].

مما سبق وقيل يمكننا القول أن المجتمع التاهرتي تكون من بربر، وعرب وعجم وأيضا كان به جماعات أندلسية، فكيف كانت مكانة ومرتبة الأندلسيين في المجتمع التاهرتي؟ وأين استقروا؟

---

[1]- علي رؤوف المالكي،(**الموارد المالية والاوضاع الاجتماعية لتاهرت كما ورد عن رسالة ابن الصغير، 296هـ- 909م**)، ع32، 2012م، ص210.

[2]- محمد زينهم محمد عزب، **قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب**، ط1، دار العلم العربي للنشر، القاهرة، مصر، 2012، ص12.

[3]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص38.

[4]- محمد الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس**، ط2، دار القلم، الكويت، 1987، ص19.

[5]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص56.

[6]- محمد بوركبة، المرجع السابق، ص185.

د) الأندلسيون:

يعتبرون من أقليات المجتمع التاهرتي، رغم ذلك فقد كان لهم نفوذ سياسي وعلمي، بحيث أن المجلس الذي رشّحه بن رستم قبل وفاته لاختيار الإمام الرستمي كان به أندلسيان هما: مسعود الأندلسي وعمران ابن مروان الأندلسي وقد تم اختيارهما لمكانتهما العلمية والاجتماعية[1].

ذكر البكري استقرار جماعات أندلسية أقامت على سواحل الدولة الرستمية المواجهة لبلاد الأندلس، التي قامت بتأسيس تنس ووهران، أواخر أيام الدولة الرستمية[2]،كما يمكن الاستدلال على حضور المكوّن الأندلسي، بوجود باب من أبواب المدينة يسمّى: باب الأندلس[3] يدخل منه التُجار الأندلسيون ويخرجون منه. حيث ذكر ابن القوطية أن أندلسيا كان بتاهرت يشتغل خياطا[4]، وتدل النصوص التاريخية إلى مكانة الأندلسيين الكبيرة بتاهرت، حيث أنهم اشتغلوا بمناصب عليا واعتُبروا محرك التجارة والاقتصاد وكانوا جزءا لا يتجزأ من مجتمعها.[5]

هـ) العبيد:

لقد كان سكان الدولة الرستمية يتخذون الخدم في حياتهم اليومية، فكثر العبيد، حيث كان لهم فوائد تجارية وكانوا يشتغلون في بعض الصناعات اليدوية ويقومون بأعمال فلاحية والأعمال الشاقة[6]،فكان الأئمة وموظفيهم والأغنياء من المجتمع التاهرتي يمتلكون أعدادا من العبيد[7].

وإن قلنا عبيدا يتبادر إلى الذهن سوء المعاملة لهم من قبل الحكام لكن ما أشار إليه أبو زكريا عكس ما ألفناه، فقال بأنهم كانوا يُعامَلون معاملة حسنة من طرف الأئمة حيث ذكر واقعة

---

[1]- ابراهيم بحاز، **دراسة في المجتمع و النظم**، المرجع السابق، ص37.

[2]- البكري، **المغرب في ذكر افريقية والمغرب**، ددن، دم، دت، ص ص 61، 70.

[3]- نفسه، ص66.

[4]- ابن قوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تح: عبد الله الطباع، دم، 1957، ص109.

[5]- محمد بوركبة، المرجع السابق، ص196.

[6]- ابراهيم بحاز، المرجع السابق، ص38.

[7]- محمود اسماعيل، **الخوارج**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ص211.

حدثت بين الإمام عبد الوهاب والعبيد، فقال لهم: "من يبشرني بقدوم وفد نفوسة فهو حر"[1]، فكانوا كلما حل الصباح خرجوا ينظرون يمينا و شمالا ينتظرون قدوم الوفد ليبشروا الإمام، وكان للإمام عبد أعرج لا يستطيع الركض، فلما قدم الوفد تسابق العبيد ليبشروا الإمام عبد الوهاب بقدوم النفوسيين، فصاح الأعرج من مكانه يخبر الإمام بقدومهم فأصبح حرا[2].

إن ذكرنا تسامح الأئمة مع المذاهب الأخرى، وحسن استقبال سكان تاهرت للأجانب، فلا بد لنا من ذكر جنس آخر وان اختلفت عنهم في الدين فقد عاش معهم، وهم أهل الذمة أو الذميون.

و) أهل الذمة:

مفردها ذمّي[3]، وهم أهل الكتاب اليهود أو النصارى، هاتان المجموعتان وُجدتا في المجتمع الرستمي كعناصر لا تقل أهمية عن غيرهم فُرضت عليهم الجزية، ومُنحت لهم الحرية الدينية في ممارسة شعائرهم[4].

1- **اليهود:** وُجدوا بشمال إفريقيا منذ العهد الروماني على طول البحر الأبيض المتوسط، وتوغلوا إلى أقصى البلاد، ووصلوا إلى حافة الصحراء ولما جاء الإسلام حافظوا على ديانتهم[5]بلغ التسامح الديني والمذهبي في المجتمع الرستمي ذروته، فسمح للعناصر اليهودية بمزاولة العلم والأدب مثل المسلمين حتى نبغ بينهم عالم في اللغة العربية وهو: يهود ابن قريش التاهرتي الذي أحسن وأتقن اللغة العربية والآرمية والفارسية والبربرية، ووضع أساس علم النحو التنظيري[6].

---

[1]- أبو زكريا، المصدر السابق، ص68.

[2]- نفسه، ص69.

[3]- الذمي: من الذمة، التذمم ممن لا عهد له وفي الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم)، الذمة هي الامان لهذا سمي المعاهد ذميا، أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ص1517.

[4]- محمد بوركبة، المرجع السابق، ص197.

[5]-ابراهيم بحاز، **دراسة في المجتمع و النظم**، المرجع السابق، ص40.

[6]- محمد بوركبة، المرجع السابق، ص200- 201

فأبدع منهجا جديدا في دراسة العبرية وترك كتابا قيّما في هذا المجال موجود ببريطانيا ،مارس اليهود مهنة الطب بتاهرت وكان لهم حي خاص بهم عرف باسم البرهادنة[1].

2- المسيحيون:

كانوا موجودين بشمال إفريقيا بشكل كثيف قبل الفتح الاسلامي لبلاد المغرب على حد تعبير ابراهيم بحاز، فكانت تاهرت إحدى مواطنهم ومركز تجمعهم[2] ولقد ذكر ابن الصغير الوجود المسيحي داخل المجتمع التاهرتي في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح، كانوا من أنصاره ولهم مناصب عليا وشاركوه الحروب ضد القبائل المناهضة له[3]،كما وُجد المسيحيون أيضا في عهد الإمام أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان، تحت قيادة رجل يسمى-بكر بن الواحد-، إستعان بهم الإمام في حروبه ضد عمه يعقوب ابن أفلح، كانت لهم كنيسة خاصة في أعلى موضع بتاهرت يقومون بطقوسهم وشعائرهم هناك بكل حرية.[4]

مما سبق وقيل حول التركيبة الاجتماعية للمجتمع التاهرتي، يمكننا القول أنه عاشت في تاهرت مختلف الأجناس، وربطتهم علاقات حسنة على حد تعبير ابن الصغير وإبراهيم بحاز، وجمعتهم مصلحة مشتركة. وكان لكل فئة دور ومكانة وفق نشاطهم العلمي والاقتصادي. لكن هل من الممكن أن يستمر التوافق بين هذه الأجناس المختلفة لفترة طويلة؟ هل من الممكن أن يكون التنوع الاجتماعي سببا في ضعف الدولة الرستمية؟

لا ننكر ما صرّحت به المصادر التاريخية حول ايجابيات تمازج الثقافات والمذاهب في تاهرت، لكن يبقى السؤال مطروحاً حول سلبيات هذا التمازج على أمن الدولة؟

[1]- محمد بوركبة، المرجع السابق، ص200- 201

[2]- ابراهيم بحاز، **دراسة في المجتمع و النظم**، المرجع السابق، ص41.

[3]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص69.

[4]- محمد بوركبة، المرجع السابق، ص205.

عمرت الدولة الرستمية طويلا، وعاشت عصرا ذهبيا تميز بالتطور في كل المجالات مع الأئمة الأوائل. وكأي دولة تمر بمرحلة تأسيس فاستقرار فضعف ومشاكل سياسية تنتهي بالسقوط، حدث ذلك مع الدولة الرستمية حيث بدأت المشاكل في عهد أبو بكر ابن أفلح[1]، وبدأ عصر الضعف للدولة معه، فماهي أسباب هذا الضعف الذي أدى إلى تفكك الدولة الرستمية؟

3- عصر الضعف الرستمي (250-296هـ):

تولى أبو بكر بن أفلح إمامة الدولة الرستمية بعد وفاة والده أفلح بن عبد الوهاب، حيث يرى محمد زينهم أن أبو بكر لم يكن في المستوى المطلوب للحاكم الذي يقود دولة لها أهمية مثل الدولة الرستمية. وقد اجتمع أهل نفوسة وغيرهم وعقدوا الإمامة لأبي بكر بن أفلح سنة250هـ،[2]لأنهم لم يجدوا غيره من أبناء أفلح بن عبد الوهاب، فأخوه أبو اليقظان كان مسجونا ببغداد ويعقوب ابن أفلح كان صغير السن لا ينفع للإمامة،[3]فلم يستطيعوا تطبيق مبدأ الانتخابات أو تطبيق مبدأ الشورى أو يتخلصوا من مبدأ الوراثة لأنهم لم يستطيعوا التخلص من أفكارهم الأولى التي تمثلت في أن تكون الإمامة داخل البيت الرستمي[4].

يذكر إبرهيم بحاز أن الإمام أبو بكر اضطربت الحياة السياسية في فترة حكمه، ودخلت الفتنة للمجتمع الرستمي من بابها الواسع، وأن أفلحا لم يرشح أحدا من بعده للإمامة[5]، يقول ابن الصغير عن هذا أن جماعة من نفوسة هي التي رشحت أبو بكر وبايعوه وجعلوه إماما عليهم[6]،

---

[1]- أبو بكر ابن أفلح رابع الأئمة الرستميين بويع بالإمامة سنة 240 هـ، للإحاطة أكثر أنظر: محسن بربر، المرجع السابق، ص94.

[2]- محمد زينهم، المرجع السابق، ص127.

[3]- محمد علي دبوز، **المغرب الكبير**، ج3، ط1، دار النشر عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص561.

[4]- سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي**، (**تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والادارسة في قيام الفاطميين**)، ج2، دار النشر للمعارف الاسكندرية، مصر، د ت، ص355.

[5]- ابراهيم بحاز، **دراسة في المجتمع و النظم**، المرجع السابق، ص106.

[6]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص61.

وقد رفض الكثير من الاباضية هذا ولم يؤمنوا بمبدأ الانتخاب العام للإمام أبي بكر[1]،ويضيف ابن الصغير عن هذا بأن عبد العزيز بن الأرز نادى بأعلى صوته: (الله سائلكم معاشر نفوسة، إذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم فيختارون من هو أنقى وأرضى)[2].

أجمعت المصادر على أن أبو بكر كان ضعيف الشخصية بعيدا عن الدين لم يكن مثل أبائه كان سمحا جوّادا،[3] يقول عنه ابن الصغير: (يسامح أهل المروءات ويشايعهم على مروءاتهم، ويحب الأدب والأشعار وأخبار الماضي)[4] ويقول عنه محمود اسماعيل أنه كان بعيدا كل البعد عن الحياة السياسية، ويميل إلى اللهو و الترف[5]وترك شؤون الدولة لصهره محمد عرفة،[6] الذي تزوج بأخته، فكانت الإمامة باسم أبي بكر والحقيقة لمحمد ابن عرفة.[7] فأصبح له نفوذ وسلطة كبيرة[8].

شهد عهد أبو بكر صراعات وخلافات بين القبائل البربرية وغيرها[9]، ولعل أهم هذه القبائل التي شهدت الفتن وأدّت إل انقسامها هي قبيلة هوارة[10].

---

[1]- محمد زينهم، المرجع السابق، ص127.

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص61.

[3]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص156.

[4]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص61.

[5]- محمود اسماعيل، المرجع السابق، ص124.

[6]- محمد عرفة: كان سميحا، كان سفير في السودان عهد أفلح بنن الملك، كان فارسا، للإحاطة أكثر به انظر: ابن الصغير، ص62.

[7]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص62.

[8]- محمد زينهم، المرجع السابق، ص128.

[9]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص63، محمد زينهم، ص128.

[10]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص157.

بعد هذه الفتن عاد أبو اليقظان[1] من العراق بعد أن أطلق سراحه الخليفة المتوكل على الله العباسي فوجد أخاه أبابكر أميرا والعجم على أحوالهم ونفوسة على مراتبهم وسائر الناس على ما هم عليه، فلم يغير شيئا ولم ينكر ولم ينازعه في الإمامة[2]، انصرف وقتها أبو بكر إلى ملذاته وترك أخاه لتسيير أمور الدولة، فكان يجلس بالمسجد لحل مشاكل الناس[3]، ثم في آخر النهار يذهب إلى أخيه ليُعْلمه ما حدث من خير وحكم، وإن لم يجده يقول لخادمه أبلغ السلام على الأمير وأخبره أن المدينة هادئة[4].

آلت الدولة وتسيير شؤونها إلى محمد ابن عرفة وأبي اليقظان معا، فدخل الطرفان في صراع، فكان أبو اليقظان يتربص بمحمد بن عرفة وحاول إثارة الإمام عليه[5]، وأخبره بافتتان الناس به وبيّن له سوء العاقبة إذ لم يتصرف سريعا[6]،وقد ذكر ابن الصغير الحدث وقال: أن الإمام لم يقتنع في بداية الأمر وقال أن نفسه لا تطوعه، وأنه صهره ثم عزم على قتله[7]. فأرسل إلى محمد بن عرفة إلى نزهة في جنان الأمير قضى الاثنين يومهما حتى وصل وقت صلاة المغرب، ووقفا إلى الصلاة فأشار أبو بكر إلى غلامه فضرب محمد بحربة كانت بيده فقتله[8].

أحدث تغيب ابن عرفة رجّة عظيمة في تاهرت، فخرج أتباعه وأنصاره يبحثون عنه، حتى وجدوا جثته فحملوه من النهر الذي قُتل عنده، لما رآه الناس جزعوا من العام إلى الخاص من نساءٍ وصبيان، فقام منادي ينادي: إلا إن القتيل المظلوم يأمركم بطلب ثأره ودمه[9].

---

[1]- أبو اليقظان تحدث عنه ابن الصغير وقال بأنه ذهب للحج إلى مكة أعتقل من طرف الخلافة العباسية سجن ببغداد، حكم الدولة الرستمية سنة 281 هـ ، أنظر: تاديوس ليفيتسكي، المرجع السابق، ص133.

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص63.

[3]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص157.

[4]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص63.

[5]- نفسه، ص64.

[6]- أبو العباس الدرجيني، **طبقات المشائخ**، ج1، تح: ابراهيم طلاي ،دم، دت، ص83.

[7]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص66.

[8]- محمد زينهم، المرجع السابق، ص130.

[9]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص159.

كان رد فعل أهل تاهرت عنيف لمقتل ابن عرفة، تجمع الثوار بقيادة محمود بن الوليد ومعهم جند القيروان بقيادة خلف مولى الأغلب بن سالم[1] هؤلاء كانوا قد أعلنوا تمردهم على الأغالبة، واستقروا بتاهرت وأسسوا ربضا كبيرا عرف بالمدينة العامرة وقد أيدوا محمد بن عرفة لأنه وافد من القيروان مثلهم إلى جانب عدد من التجار، أما الإمام لم يكن معه سوى خاصته من الرستميين وبعض السّمحيين[2]، أما أبو اليقظان فقد فضّل الابتعاد وعدم خوض الحرب هو وأهل نفوسة فانتقل إليهم وأقام هناك[3]، ويتحدث ابن الصغير عن القتال الذي حدث بين الثوار والإمام أبو بكر بن افلح فقال: "زحف الناس من أعلى المدينة من الناحية الشرقية وزحف أبو بكر وشيعته وخاصته من المغرب ولبس كل واحد من الفريقين الدروع والرايات واقتتلا"[4].

كانت معركة عنيفة تدخل فيها العجم والعرب، ووقفت نفوسة موقف الحياد حتى حدث صراع بين العرب والعجم بجوار درب النفوسيين، غلب العرب واستولوا عليه و أضرموه بالنار، فغضبت نفوسة وانضموا إلى العجم وانضم إليهم أبي اليقظان[5]،ويرجع الحريري سبب تدخل العجم في الحرب الأهلية بأن تصبح لهم المكانة الأولى والأخيرة في تاهرت ويقوموا بدور المنقذ للبلاد والسلطان[6].

ولما وحّدت نفوسة صفوفها مع العجم والرستمية بقيادة أبي اليقظان، انتصروا على العرب مرات عديدة منها: (قنطرة سليس، الرد المعوج)[7]، لكن أبي اليقظان بدأ يضعف لأنه تفرق مع حلفائه فنزل أهل نفوسة عند قلعة نفوسة واستقر أبو اليقظان بموضع اسكدال، أما أبا بكر كان في حالة سيئة نادما على ما جناه على نفسه[8].

---

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص68.

[2]- محمد زينهم، المرجع السابق، ص131.

[3]- ابنالصغير،المصدر السابق، ص68.

[4]- نفسه، ص69.

[5]- نفسه، ص70-71.

[6]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص161.

[7]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص73.

[8]- محمد زينهم، المرجع السابق، ص133.

هنا اغتنم محمد بن مسألة الهواري الإباضي الفرصة عند خروج الرستمية من تاهرت واستولى عليها وأصبحت القوة لقبيلة هوارة التي تواجهت مع لواتة وهزمتها فتحصنوا في حصن عُرف باسم "حصن لواتة"[1]، فقامت قبيلة لواتة بدعوة أبي اليقظان إليها وهناك تمت مبايعة أبي اليقظان بالإمامة ومن تاهرت خرج الكثيرون الذين أعلنوا ولاءهم وبايعوه[2]، وبفضل شخصية أبو اليقظان القوية استطاع أن يصلح الأوضاع داخل الدولة الرستمية وبخاصة عاصمتها تاهرت، فاهتم بالسياسة والاقتصاد والاجتماع[3].

كان الإمام أبي اليقظان في الحج وابنه أبو الحاتم[4] على رأس الجيش لحماية القوافل التجارية من اعتداءات قبائل زناتة عليها، حيث كان هذا الأخير بعيدا عن تاهرت مسيرة يومين[5].

ومن جهة أخرى يذكر ابن الصغير أن العوام والفرسان أجمعوا على مبايعته بالإمامة دون القبائل الأخرى لما علموا بوفاة أبوه أبو اليقظان فعقدوا الإمامة له ثم عاد إلى تاهرت واستقبلته الجماهير لمبايعته، فدخل المسجد وأصعدوه المنبر وكبّروا حوله ثم أرسلوا إلى القبائل فبايعته[6]، ويذكر ابن الصغير أنه نال حب الناس ورضاهم بسبب حسن سيرته وأنه كان يطعمهم ويلبسهم[7]، شهدت فترة حكم أبي الحاتم العديد من الأحداث السياسية حيث يقول ابن الصغير المالكي عن تاهرت منتصف القرن الثالث هجري أنها مُلأت بالشقاق الذي أحدثه النكار، والواصلية[8].

---

[1]- أحمد ابن عذارى المراكشي، **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، مج1، تح: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد،ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ2013م، ص75.

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص75.

[3]- محمد زينهم، المرجع السابق، ص ص 137، 138.

[4]- أبو حاتم الرستمي سادس الأئمة الإباضية بويع بالإمامة سنة 281 هـ على رأس جيش من زناتة، أنظر: محسن بربر، المرجع السابق، ص123.

[5]- محمد زينهم محمد عزب، المرجع السابق، ص141.

[6]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص91.

[7]- نفسه، ص92.

[8]- الواصلية: أصحاب أبي حذيفة وأصل بن عطاء الغزل، كان تلميذا بلحسن البصري، أيام عبد الملك ابن مروان... أنظر إلى كتاب الملل والنحل، الشهرستاني، ج1، ص46.

استغلته القبائل الساخطة سياسيا على تاهرت لصالحها، ثم بخروج الخليفة وابن مصالة عن تاهرت وكوّنا دولة مستقلة غير بعيدة عنها، ثم قطع الأغالبة الطريق بين تاهرت والمناطق الشرقية التابعة لها، ومن جهة أخرى محاولة الولاة الاستقلال بما ولوا عليه واقتطعوا تلك المناطق لهم، ولكن المعركة القاضية على السلطة الإباضية كانت معركة مانو 283هـ[1]. فما علاقة معركة مانو بضعف الدولة الرستمية وسقوطها؟

موقعة مانو: 283هـ

في هذه المعركة تحطمت شوكة نفوسة التي كانت بمثابة الدرع الحامي للدولة الرستمية، ومع ذلك استمرت الدولة في الوجود حتى عام (296هـ)، حيث تعرضت لقوات العبيديين[2]، حدثت في عهد أبي حاتم يوسف والتي خلّفت الهزيمة بقوات نفوسة، أمام قوات الدولة الأغلبية، بقيادة إبراهيم ابن أحمد، وكانت السبب المباشر في اضمحلال قوة تاهرت العسكرية، يقول الدرجيني أن: "نفوسة أطوع رعايا الدولة الرستمية وأكثرها خيرا لها"[3].

ويقول أبو زكريا عن دور نفوسة العسكري ودور مزاتة المالي، لصالح الإمامة الرستمية:" أن هذا الدين قام بسيوف نفوسة ومال مزاتة"[4]، اعتبرت معركة مانو البداية الأولى لنهاية الدولة الرستمية قامت لعدة أسباب، نذكر منها:

يقول الدرجيني عنها أنه وصل الخبر إلى المتوكل على الله أن المغرب قد انتشر به المذهب الإباضي، واستقام ملكهم فلم يرض بذلك، فوجه عسكرا إلى المغرب وأمر عليه: ابراهيم بن أحمد من الأغالبة، فتوجه إلى المغرب قاصدا تاهرت فلما اقترب من طرابلس سمعت بخبره نفوسة، فاعترضت طريقه وقرروا أن لا يتركوه يمر بتاهرت، فطلب منهم أن يتركوا له الساحل[5].

---

[1]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص21.

[2]- نفسه، ص21.

[3]- ابن عباس الدرجيني، المصدر السابق، ص ص 83، 106.

[4]- ابو زكريا يحي، المصدر السابق، 155.

[5]- ابن عباس الدرجيني، المصدر السابق، ص87.

فأبوا ذلك، فأراد الرجوع إلى المشرق لكنه أمر من معه بالتقدم والحرب إن هم اعترضوهم، فقال سعد بن أبي يونس عن هذا: (أخشى أن تُذبح البقرة، فيتبعها عجلها)، يعني البقرة نفوسة، فخرج النفوسيين للقائه بموقع اسمه: مانو هو قصر على ساحل البحر فاقتتلوا قتالا شديدا، لم يُرَ أشد منه بالمغرب[1].

يقول أبو زكريا يحي عن أسباب الموقعة أنه سار إبراهيم بن أحمد من رقادة في إثر ابنه أحمد نحو طرابلس حيث اعترضته قبائل نفوسة بين قابس وطرابلس، حيث أن الأمير الأغلبي طلب من أهل نفوسة أن يتركوا له ممرا على شاطئ البحر لا تزيد سعته عن مقدار نشر عمامته ليجوز إلى طرابلس[2].

قال سعد زغلول عن أسباب الموقعة أنه من المحتمل أن تكون الرواية الإباضية تُخلط بين ما حدث قبل ذلك مع عبد الله ابراهيم ابن الأغلب عندما حاصرته الإباضية في طرابلس أيام الإمام عبد الوهاب، وانتهى الأمر بالصلح على أن يكون شاطئ البحر للأغالبة والداخل لعبد الوهاب.

وإما أن يكون هدف ابراهيم بن أحمد هو الاكتفاء بتهدئة الأحوال في طرابلس التابعة له، دون الرغبة في التدخل في شؤون الاباضية[3].

وإن اختلفت الروايات حول الأسباب فنتيجة الموقعة هزيمة أهل نفوسة بعدما وقع خلاف بين قائد الجيش ومن معه، فكثر القتلى وكان بين القتلى أربع مئة عالم، ولم يبق عالم يفتي بالنوازل[4].

بعد هذه الأحداث ظهر عامل آخر يؤثر بالسلب على كيان أي دولة ويضعفها مهما كانت قوتها وهو الصراع حول الحكم. فبالرغم من حب العامة لأبي حاتم الا أن هذا لم يكن كافيا ليواصل حكمه فقد استقدم أهل المعارضة عمه يعقوب ابن أفلح[5] وبدأ ينافسه في السلطة[6].

---

[1]- نفسه، ص 88، 89.

[2]- أبو زكريا، المصدر السابق، ص155.

[3]- فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص115.

[4]- ابن عباس الدرجيني، المصدر السابق، ص89.

[5]- يعقوب ابن أفلح بويع بالإمامة على إثر ثورة أهالي تاهرت ضد ابن أخيه يوسف، أنظر: محسن بربر، المرجع السابق، ص121.

[6]- ابراهيم بحاز، **دراسة في المجتمع و النظم**، المرجع السابق، ص109.

ويذكر جودت عبد الكريم أنه كان للإمام أبي حاتم العديد من القوى المنافسة له في تاهرت كعمه يعقوب وأخوه اليقظان[1] وجماعات من العرب، وبعض القبائل الغير الاباضية، فخرج من المدينة برفقة أتباعه من الرستميين والعجم ونفوسة وحتى البعض من أهل صنهاجة والسّمحيين إلى زواغة وأقاموا المعارضة بتاهرت، وقرروا عقد الإمامة ليعقوب ابن أفلح بصفة رسمية[2].

بدأت الحرب بين أبو حاتم وعمه وقام أبو حاتم باستقطاب الكثير من القوى فانضمت له لواتة، وقبائل من الصحراء ومنحهم المال والخيل وزحف إلى تاهرت من ثلاثة مواضع (القبلة، المشرق، المغرب) فقاد القبلة مع لواتة وتولى المشرق العجم وصنهاجة، ومن الغرب قبائل نفوسة[3].

استطاع حاتم الضغط على تاهرت لكن فور دخول يعقوب المدينة ضعف جيش أبو حاتم وانضمت جماعة من قبيلة لواتة إلى يعقوب لكن أبو حاتم استمر في المقاومة وأغلق يعقوب أبواب تاهرت وترك فقط بابا واحدا حارب منه أبا حاتم، وساءت الأوضاع إلى أن تدخل أبو يعقوب المزاتي بين الطرفين، رئيس قبيلة مزاتة وعقد الهدنة بينهما[4].

بعد هذا الصراع قامت القبائل المتضررة اقتصاديا بسبب الحرب بالانضمام إلى أبي يعقوب المزاتي واتفقوا على ابعاد الطرفين من الحكم فخرج أبو حاتم إلى قصره بتسلونت ويعقوب إلى زواغة[5].

بعد كل هذه الاضطرابات فقد الإمام أبو حاتم هيبته في تاهرت وبسبب ما حل بأهل نفوسة فقدت الدولة الرستمية قوتها العسكرية، وانهار حكم الإمام أبو حاتم بمقتله على يد بنو أخيه سنة (294هـ/ 906م) [6].

---

[1]- اليقظان من الأئمة الإباضية كان حكمه مضطربا دام سنتين انتهى بالإكتساح الشيعي، انظر: محسن بربر، المرجع السابق، ص122.

[2]- عبد الكريم جودت، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية المؤسسة الوطنية للكتاب**، الجزائر، 1984، ص68.

[3]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص95.

[4]- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص179.

[5]- جودت عبد الكريم، **العلاقات الخارجية**، المرجع السابق، ص69.

[6]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص130.

بعد ذلك تولى اليقظان ابن أبي اليقظان الإمامة ودام حكمه سنتين ساد فيهما الانقسام والاضطراب بين شيوخ الاباضية المعارضين له، من بينهم شيوخ قبيلة نفوسة حيث اعتقدوا بأن اليقظان كان له دخل في مقتل أبو الحاتم[1].

هذه كانت البدايات الأولية لزوال الدولة الرستمية، ويعد الخطر الشيعي النهاية الفعلية لها[2](سنة 296هـ/ 909م).

على ضوء ما سبق، يبدو لنا واضحاً أن مختلف القبليات والمذهبيات والأجناس كان لها نصيب من الطموح السياسي في تاهرت بعد مرحلة أفلح، وكان لها نصيب من الانقسام والاقتتال، مستغلّةً خُلُوّ العاصمة الرستمية من قبيلة قويّة ومؤثّرة، إذ بوجودها ما كانت المدينة ستشهد—ربّما—كل ذلك الانحدار إلى مستنقع الضعف. وهذا قصدنا بتساؤلنا في بداية الفصل: هل كان تعدّد القبليات والمذهبيات والأجناس عاملاً من عوامل الهدم، مثلما كانت من قبل، سبباً من أسباب الثراء والإزدهار؟ ونحسب أن هذا السؤال الجدلي، لا يزال صالحاً للنقاش والإثراء، وربما أمكن إسقاطه على حالات من تاريخنا الوسيط والحديث والمعاصر.

[1]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص182.

[2]- أبو زكريا، المصدر السابق، ص166، 167.

الفصل الأول: التبعية السياسيةو العسكرية لتاهرت من سقوط العاصمة إلى زوال العمران(296-612هـ/909-1216م)

1- الإكتساح الشيعي العبيدي لتاهرت.

2- موقف أهل تاهرت من الدخول الشيعي.

3- أثر الصراع الزيري الزناتي على عمران تاهرت.

4- أثر بني غنية على مدينة تاهرت.

لقد تطرقنا سابقا في الفصل التمهيدي للصراعات الداخلية التي شهدها البيت الرستمي وكيف أدت إلى ضعف دولةٍ عمرت أكثر من قرن، فتراجعت حضاريا بعدما كانت عاصمتها تاهرت تسمى: **بغداد المغرب**.

كان عهد الإمام اليقظان مليئاً بالفتن والصراعات حول السلطة، فأُخذت الإمامة غصبّا، وفي فترة حكمه تفرقت كلمة الأمة واختلف الرستميين في ما بينهم، ومن جهة أخرى فإن البنية الاجتماعية لسكان تاهرت كانت خليطا، فأدت إلى فقدان العصبية المذهبية التي أقامتها كدولة سابقا، كما أثرت وقيعة مانو سلبا على الجيش الرستمي، ظهر عدو قوي للإباضية هم الشيعة، الذين استغلوا الأوضاع السائدة لصالحهم ودخلوا تاهرت فأسقطوها.

ونحن في هذا الفصل سنتطرق إلى مظاهر التخريب العبيدي للمدينة، وماذا حل بتاهرت بعدهم، مُحاولين إعطاء دراسة تدريجية للتاريخ العمراني للمدينة من سقوط الدولة (296هـ) إلى غاية الزوال (612هـ).

1) الاكتساح الشيعي العبيدي لتاهرت:

عندما قضى **أبو عبد الله الشيعي** على دولة الأغالبة واستقام له الأمر هناك، أرسل إلى المهدي يطلب منه القدوم إلى بلاد المغرب، فاتجه عبيد الله المهدي إلى **سجلماسة** عاصمة **المدراريين**، في المغرب الأقصى حيث أكرمه أميرها **اليسع ابن مدرار**[1]،ثم ضيق عليه وسجنه بطلب من **الخليفة العباسي**، لكن **أبو عبد الله الشيعي** حرره من السجن[2]،وفي طريقه قصد تاهرت والتقى ب **دوسرا** ابنة **الإمام أبي حاتم** مع أخيها.[3]

وقد فصّل أبو زكريا في كتابه سير الأئمة عن قصة **دوسرا**، حيث ذكر بأنها التقت **بأبو عبد الله الشيعي** وأخبرته بقصة أبيها وما أُنتهك من حرمته، فلما رأت أنه لم يولها اهتماما وعدته أن تتزوج منه إن هو ثأر لها. ثم إن **الحجّاني** ويقصد **الشيعي** أخذ بطريقه إلى تاهرت ولما اقترب منها خرج إليه أهلها المخالفين للإمام والشيعة الواصلية ومن بها من الصفرية فوعدوه العون على الرستميين وأمروه بالقضاء عليهم. فأرسل **الحجّاني** رسالة إلى **اليقظان** يأمره بالخروج، فلبّى طلبه وخرج مع بنيه[4]،عند وصول **اليقظان** سأله **الشيعي**: (ما اسمك؟ قال اسمي **اليقظان**، فقال **الشيعي**: بل الحيوان فكيف قتلتم أميركم وسلبتم لأنفسكم ملكه، فأطفيتم نور الإسلام، وألقيتم إلينا بأيدكم بغير قتال ولا حصار)[5]، وقد ذكر الدرجيني قصة **دوسرا** مع الداعي **الشيعي** حيث قال: بأنها فرت مع أخيها إلى **ورجلان** خوفا من أن يطلب منها تنفيذ الوعد[6].

فهل يمكن أن تكون قصة **دوسرا** هي السبب الوحيد للدخول الشيعي أرض تاهرت؟

---

[1]- ابن خلدون، **العبر**، ج4، المصدر السابق، ص70.

[2]-أحمد ابن عذاري، المصدر السابق، ص ص 175،176.

[3]- محمد مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، د ت، ص87.

[4]- أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص169.

[5]- نفسه، ص170.

[6]- الدرجيني، المصدر السابق، ص94.

أ-التخريب الشيعي لتاهرت:

تحدث ابن عذارى عن التخريب الشيعي لمدينة تاهرت ووصفه فقال عنه: "فسار **أبو عبد الله الشيعي** حتى حل بمدينة تاهرت يوم الخميس، فدخلها بأمان، وقتل بها من الرستمية: **اليقظان ابن أبي اليقظان**، وجماعة أهل بيته وبعث برؤوسهم إلى أخيه **أبي العباس**..."، ثم ولى على تاهرت **دواص بن صولات اللهيصي** و**ابراهيم ابن محمد الهواري**.[1] وهكذا انقضت الدولة الرستمية بدولة الخلفاء الفاطميين الذين صاروا ملوك مصر[2].

من بين المؤرخين الذين أعطوا أسبابا أخرى للدخول الشيعي لتاهرت هو موسى لقبال الذي وضحّها في كتابه (دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية)، أن: الداعي عندما خرج من **رقادة** من أجل تحرير **عبيد الله المهدي**، كان هدفه بعيد وهو ضم أملاك الدولة الرستمية في إطار أملاك الحركة الاسماعلية لأنه كان على علم بالأوضاع الداخلية المتدهورة للعاصمة تاهرت، وتخوفه من الأمويين في الأندلس، لأن العلاقة بين الامارة الأندلسية والإمامة الإباضية اتسمت بعلاقات ودّية وتعاون وصداقة، اضافة إلى قصة **دوسرا** التي ذكرتها المصادر فدخل المدينة بالأمان، ووعدهم بالتسامح مع الطوائف الغير شيعية، فدخلها بدون مقاومة لكن تنكر جند كتامة لوعودهم السابقة بالأمان[3]، فخربوا المدينة بشكل كبير، وقتلوا عدد كبيرا من أهلها وبعث الداعي رؤوسهم إلى أخيه أبي العباس فانقرضت بذلك سلطة الرستميين[4].

---

[1]- أحمد ابن عذارى، المراكشي، المصدر سابق، ص126.

[2]- ابي الفداء، **تقويم البلدان**، تح: رينود البارون ماك كوكين ديسلان، ط1، دار الطباعة السلطانية، باريس، فرنسا، ص161.

[3]- موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ**، الشبكة الوطنية للنشر والتوزيع، دت، ص ص 340، 341.

[4]- هرباس جازية، (**تاهرت بين الازدهار والإنهيار**)، مجلة الخلدونية في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ع خ، جامعة ابن خلدون، تيارت، أكتوبر 2009، الجزائر، ص163.

أما ابن خلدون فذكر أن **الداعي الشيعي** استولى على افريقية والمغرب سنة 296هـ، فغلب تاهرت وابتز ملك الرستميين هناك وبث دعوة عبيد الله في أقطار المغربيين، وعقد **عرّوبة بن يوسف الكتامي** فاتح المغرب للشيعة، على تاهرت لأبي **حميد دواس بن صولات اللهيصي**298هـ[1].

لم يكتف **الداعي الشيعي** بسفك دماء أهل البيت الرستمي، بل بلغ الأمر أكثر من ذلك، إذ عاثت جيوشه داخل المدينة فسادا واستباحوها سلبا ونهبا وتخريبا وكل ذلك بأمره[2]، وهذا ما أكده أبو زكريا عندما قال: "... ثم أن **الحجاني** دخل المدينة وانتهبها وانتهك حرمتها"[3]، أما الدرجيني فيزيد عن هذا بقوله: "دخل المدينة فانتهبها وانتهك حرمتها... وكان دخوله لها بالأمان فلما دخلها غدر وقتل أهل البيت الرستمي..."[4].

من جهة أخرى يذكر الحريري في كتابه الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ما حل بتاهرت بعد دخول **أبو عبد الله الشيعي** لها، فقال أنه استباحها ونهبها، وقصد المكتبة المعروفة ب**المعصومة** ليقضي على الفكر الإباضي المكتوب، فقد كانت مكتبة عظيمة تحتوي على أكثر من ثلاث مئة ألف مجلد أغلبها في الشريعة الإسلامية وفلسفتها في شرح المذهب الإباضي، والإحتجاج له في تاريخ الدولة الرستمية. وبقدر ما كان الداعي يريد القضاء على كل مظاهر الفكر الإباضي بقدر ما كان حريصا على كل ما من شأنه تدعيم الدولة العبيدية فأخذ منها: كتب الرياضيات والصنائع والفنون، وأحرق ما تبقى من الكتب[5].

إن حادثة حرق مكتبة **المعصومة** من طرف **أبو عبد الله الشيعي** تدخل ضمن التخريب الذي قام به الشيعة في تاهرت، وبذلك فهي الأخرى محل جدل، لأن المؤرخين الإباضيين تفرّدوا بذكرها.

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص144.

[2]- البشير بوقاعدة، **خراب المدن في المغرب الأدنى والأوسط**، (296، 909هـ/547،1052م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2012-2013، ص109.

[3]- أبو زكريا، المصدر السابق، ص112.

[4]- الدرجيني، المصدر السابق، ص94.

[5]- عيسى الحريري، المرجع السابق، ص185.

وما تجدر الإشارة إليه في هذه النقطة هي أن قضية حرق مكتبة المعصومة قد أخذت حظها من الدراسة والتحقيق من طرف المؤرخ موسى لقبال، الذي خصص لها دراسة.

فموسى لقبال يستبعد تعرض المكتبة للحرق مستندا في ذلك إلى أن **عبد الله الشيعي** لم يستخدم الحرق والتخريب إلا لضرورة حربية، كما هو الحال حين دخل مدينة **بلزمة**، و**الأربس** وحتى **سجلماسة**، حيث استخدم النار لحرق الأبراج و الأماكن المحصنة لأن سكانها أظهروا المقاومة.

أما حرق الكتب المذهبية فلم تشر إلى ذلك النصوص التاريخية لا في **القيروان** ولا **سجلماسة**، أين لقي جيشه مقاومة شديدة، فقال :"كيف به الحال وأن دخوله تاهرت كان دون مقاومة تذكر بل سُلمت له المدينة على طبق، فلماذا يقوم بحرق المعصومة؟"[1].

فصّل ابن عذارى في مُؤَلفه البيان المغرب ما حدث لتاهرت بعد سنة 296هـ، على غرار بعض المصادر الأخرى التي لم تعمق في الوصف. فذكر أن الداعي بعد دخوله تاهرت بنجاح تجول إلى بلاد البربر وحارب **زناتة**، وقتل رجالها وأخذ الأموال، حيث كانت نية الداعي العودة إلى **رقادة**، لكن بعدما أخبره **عروبة بن يوسف** بالمؤامرة التي تعاقد عليها **المهدي** مع أصحابه لخلعه وقتله، التزم الداعي الاحتراس. فقرّب المهدي **أبا جعفر البغدادي** منه ليستعين به على أخيه وجماعة كتامة[2].

من خلال ما ذكره ابن عذارى يتبين لنا أن سبب بقاء الداعي بتاهرت هو المؤامرة التي أعدها له المهدي ورفقاؤه.

فأخرج **المهدي** قائده **أبو زاك تمام ابن معارك** في جيش عظيم وحاصروا **طرابلس وهوارة، زناتة**... وحاربهم حتى قتلهم، لكن **أبو عبد الله الشيعي** قتل **أبو زاك** سنة مئتان وثمانية وتسعون للهجري 298هـ[3].

[1]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص345.

[2]-أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص189.

[3]-أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص189.

أما ابن خلدون فذكر: أن **الداعي** بعدما أثخن في برابرة تاهرت: (لّماية وإزداجة ولواتة ومكناسة ومطماطة) حمّلهم على الدين والمذهب الشيعي غصبا.

ثم ولى **اسماعيل المنصور :يصلاصن بن حبوس**، على تاهرت، لكنه ذهب إلى الأمويين وراء البحر، ولحق **بالخير بن محمد بن خزر** صاحب دعوتهم في زناتة[1]، فولى المنصور بعده على تاهرت: **ميسورا الخصي**، و**أحمد بن الزجالي**[2].

2) **موقف أهل تاهرت من الدخول الشيعي:**

عندما تقوم أي قوة عسكرية باقتحام حدود دولةٍ ما، وتهدد أمنها حتما يكون هناك رد فعل لهذا الاقتحام سواءً من الحكام أو عامة الناس. فبعدما استولى الشيعة على تاهرت وبعدما خربوها وأحرقوها وقتلوا الناس بها، ونكّلوا بهم يتبادر إلى الذهن سؤال حول رد فعل أهل تاهرت، وكيف استقبلوا هذا التواجد العسكري؟

أ- رد فعل الأئمة الإباضيين على الدخول الشيعي:

ذكر الدرجيني أن **الداعي** نزل بتاهرت فخرج **يعقوب** بجماعة مع أصحابه وعائلاتهم على الخيل في خفاء وخوفا من **الشيعي**، فشعر بهم **الداعي** ووجه بطلبهم، وكان **يعقوب** على فرس في نهاية الصف، فلما لحق بهم جيش **الداعي** واجههم حتى يتسنى لأصحابه الفرار، ثم يهمز الفرس حتى يصل إلى أصحابه، ثم إذا لحقوه أيضا واجههم وثبّطهم على أصحابه، فرجع عنهم الجيش الشيعي.

وسار بأصحابه إلى **ورجلان** فذكر أنه عندما كانوا في الطريق نظر إلى النجوم فقال لأصحابه: (إنكم لا يجتمع منكم ثلاثة نفر، إلا كان عليكم الطلب، فافترقوا فقد انقطعت أيامكم وزال ملككم)[3].

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص144.

[2]- نفسه، ص:144.

[3]- الدرجيني، المصدر السابق، ص104.

أما ابن عذارى فقد ذكر بأن الأئمة الإباضيين بتاهرت قد فرّوا إلى **ورجلان** و**سجلماسة الأوراس** و**بني راشد** مع عائلاتهم، فأراد من كان هناك من الإباضيين بتولية **ابن أفلح** لكنه رفض ذلك وبهذا انقطعت التبعية السياسية لأسرة **بني رستم**[1]، تخوف **المهدي عبيد الله** من احياء الإمامة الرستمية لذلك أمر بتوجيه قوة عسكرية لحصار **بني ورجلان** وقتالهم على اظهار العداء[2]، وبدأت حركة نشيطة من أجل العثور على **دوسرا** وإخوتها، وبقية أعضاء الأسرة الرستمية[3]، غير أن هذه المرأة اختفت خوفا على نفسها من القتل، وكانت هي وعمها **أبو يوسف يعقوب** وابنه **أبو سليمان** مع بعض الحراس والأتباع، قد تمكنوا من النجاة بأنفسهم حيث اتجهوا إلى صحراء **ورجلان**[4].

من خلال ما ذكَرته المصادر يمكننا القول بأنه لم يكن هناك رد فعل للأئمة الرستميين على الإقتحام الشيعي لأرضها سوى الهروب بعائلاتهم إلى مناطق الدعوة الإباضية وبيتها، ربما يعود ذلك إلى ضعف شخصياتهم التي وصفتها المصادر.

ب- موقف قبيلة زناتة من التواجد الشيعي:

كما ذكرنا سابقا أن قبيلة زناتة من القبائل الكبرى التي تفرقت في بلاد البربر موطنها **غدامس**، وبطونها كانت بتاهرت وضواحيها، لم تأخذ زناتة بالمذهب الشيعي لاعتناقها مذاهب أخرى من مذاهب الخوارج، وكان هناك عداء قديم بين مذهبها الإباضي والشيعي، وبما أن مذهبهما كان مختلفا فكيف كان رد فعل أهل قبيلة زناتة؟

حاولت قبيلة زناتة ضرب الحصار الذي وضعته الدولة العبيدية على تاهرت، فبعث **أبو عبد الله الشيعي** جيشه من أجل القضاء على هذه الثورة فنجح في ذلك[5].

[1]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص122.

[2]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص343.

[3]-نفسه، ص342.

[4]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص342.

[5]-أحمدابن عذاري، المصدر السابق، ص160.

أما ابن خلدون فقد ذكر ثورة أخرى قام بها **حميد دواس بن صولات اللهيصي**، سنة (298 هـ) مئتان وثمانية وتسعون. الذي فرّ إلى الأندلس عند دولة بني أمية و انضم إلى **محمد الخير ابنخزر** ضد الشيعة فقال : أنهم اقتحموا تاهرت عنوة و أمسكوا **بأحمد الزجالي** و **ميسور**، إلى أن أطلقوا صراحة بعد حين[1].

خرج **أبو عبد الله الشيعي** سنة(298 هـ / 911 م) إلى قبائل **زناتة** ليخضعهم لأنهم هدّدوا وجودهم، فاستولى على مُدنهم و أَحرقها و سبى الذرية[2]، بعدما اشتغل **المهدي** بحركة التآمر على **عبد الله** و أخيه **العباس**، ثارت قبيلة **زناتة** على الشيعة و حاولت فك الحصار على تاهرت سنة (299 هـ/ 911 م)، فقامت الحرب بين عساكر **عبد الله** و بين قبيلة **زناتة**، قتل فيها الكثير من أهل تاهرت، وسبب الواقعة أنهم ثاروا على **دواس** عميل **المهدي** و أرادوا قتله، فهرب إلى تاهرت القديمة و تحصن به، و قتلوا أصحابه، ثم أدخلوا **محمد بن خزر** إلى تاهرت، و أعطوا له **أم دواس** و عائلته و سلاحه كرهينة فأخرج **عبد الله** العساكر إلى تاهرت يوم الجمعة من محرم، و استمرت المعركة ثلاث أيام، و أخذ بالكيد من أهلها. و في يوم الثلاثاء من صفر، استطاع دخول تاهرت و أخذها من أهل **زناتة**، فأحرق المدينة بالنار و انتهك الأموال و سبى النساء و الأطفال، بلغ عدد القتلى بتاهرت ثمانية ألاف رجل، ثم ولى **مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي**، على تاهرت، و انصرف **دواس بن صولات** إلى رقادة و قتله الشيعي[3].

من جهة أخرى يذكر ابن أبي زرع ما أصاب عمران تاهرت في كتابه الأنيس المطرب: (... في سنة ثلاث مئة و خمسة(305 هـ)، أَحرقت النار أسواق مدينة تاهرت قاعدة **زناتة**، و أُحرقت أسوار مدينة فاس...) في شهر شوال فسميت هذه السنة بسنة النار[4].

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص144.

[2]- سنوسي يوسف ابراهيم، **زناتة والخلافة الفاطمية**، ط1،دم، 1986، ص171.

[3]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص191.

[4]- علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972، ص98.

و يذكر ابن عذاري أن الداعي عندما ولى **مصالة ابن حبوس**[1] على تاهرت ثلاث مئة و عشرة للهجري (310 هـ) استباحها و خربها[2]، لم تهدأ الثورات في تاهرت في هذه الفترة و أعمال الحرب ففي سنة ثلاث مئة و اثنا عشر هجري(312 هـ) التقى جيش **مصالة ابن حبوس** مع جيش **ابن خزر**، فحدثت بينهم حرب عظيمة على أرض تاهرت انتهت بموت **مصالة** و انهزام من معه[3].

أما محمد بن عميرة يذكر في كتابه دور زناتة في الحركة المذهبية أن: مدينة تاهرت شهدت اضطرابات و ازدادت حدة الصراع داخل أرضها عندما اقتحم العنصر الأموي الأندلسي دائرة الصراع لأن النشاط الفاطمي بالمغرب الأوسط أقلقهم، فتحالفوا مع المعارضين للسياسة الفاطمية بتاهرت بالأخص قبيلة **زناتة**[4].

من جهة أخرى بيّن ابن عذاري من كان وراء **محمد ابن أبي خزر** و من دعمه ضد القوة الشيعية بأرض تاهرت ،حيث ذكر رسالة **محمد بن خزر** الذي أرسلها إلى **الناصر لدين الله الأموي**، يخبره فيها أوضاع بلاد المغرب خاصة تاهرت[5].

[1]- مصالة ابن حبوس أعظم قادة الجيش الفاطمي، انظر: ابن خلدون، ج6، ص154.

[2]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص204.

[3]- محمد ابن خزر: جده صقلابابنزومار، أسلم على يدتيدنا عثمان ابن عفان، تولاه خلفاء بني أمية وكانت له مكانة عندهم. انظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص27.

[4]- محمد ابن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص184-185.

[5]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص206

وفي هذا السياق ذكر ابن حيان القرطبي في كتابه المقتبس مضمون هذه الرسالة وفصّل فيها حيث كتب إلى **الناصر** سنة ثلاث مئة و تسعة عشر هجري 319هـ يقول فيها:

(.....فإن كتابي، أبقى الله أمير المؤمنين، من بلد الساحل من مدينة تاسفا، المشهورة بمدينة العلويين، و هي مدينة حصينة أولية متوسطة للمراسي التي تقابل مراسي الأندلس، و هي منتظمة بها و قريبة منها، وهي بغربي تاهرت، **دار الفاسقين** وقريبة منها، بينها و بين المراسي أقل من يوم، و انما ذلك بعد انتقالي من **بلد الغوط**... بل جميعنا مستعدين بدعوتك معتصمين لطاعتك، محبين لأيامك و دولتك المباركة... و خبر خروجنا عن البلد الذي كنا نحله، و سبب انتقالنا، فإنه لم تخرجنا خصاصة و لا مذلة و لا تخوف، و إنما أخرجنا عنه بقضاء الله حب الدنو بك... و ها نحن عازمون على النهوض إلى **مدرة السوء تاهرت** و ما هناك **لاغتيالها** و محاصرة الفاسقين بها، و **التغير عليها و قطع المرافق عنهم و إبعاد رجس اليهود عنها**، و لا يقوم بهذا الشأن إلا العرب ذو الحنكة الأسلحة الشاكة، و النشاب و العدة، و أهل الاقتدار على تشييد البناء و ما يصلح لنكاية الأعداء...) [1].

إن مضمون هذه الرسالة يبين لنا حدة الصراع الذي كان بتاهرت، و يظهر لنا عنصر جديد تدخل في الأعمال التخريبية، فقد تدخلت الإمارة الأندلسية بدعمها **محمد ابن ابي خزر**، الذي طلب العون و المدد العسكري من سلاح و خيل و رجال ذو حنكة عسكرية .

وافق **الناصر لدين الله** على طلب **محمد ابن أبي خرز**، فأخبره الأخير بأنه سيقضي على كل ما بناه الشيعي من قرى و قصور و منابر و معاقل ليقطع أثره،[2] فقامت الحرب كما ذكرنا و انهزم الشيعة لقوة الأمويين و قُتل فيها **ابن حبوس**[3].

[1]-ابن حيان القرطبي، **المقتبس**، ج5، تح: شال ميتاوكورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب الرباط، مدريد إسبانيا، 1979، ص ص 301 ،302.

[2]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص206.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، ج6،المصدر السابق، ص155.

حيث أن **محمد** دخل الصحراء و أبقى أخاه **الخير** موجودا بمطماطة مع رجاله، و كانت الحرب عظيمة كما وصفها ابن عذاري، فانقلبت قبائل مطماطة على الشيعي، و استمدوا **ابن الخزر**، كل هذا كان في سنة ثلاث مئة و خمسة عشر هجري 315 هـ[1].

تتبع ابن عذاري الأحداث التاريخية التي مرت على تاهرت و ذكرها بالسنوات، فقال عن سنة ثلاث مئة و ستة عشر 316 هـ:" أن **أبو القاسم بن المهدي** دخل تاهرت لكنه لم يقاتل جيوش **الخزر** مدة شهر، ثم انصرف إلى **المهدية** و قيل عن سبب انصرافه أنه سمع بأن الناس أرادوا مبايعة أخاه **أحمد**، عندما صلى بهم صلاة عيد الفطر فأقلقه ذلك"[2].

يقول ابن خلدون في هذا السياق أن **أبا القاسم بن عبيد الله** ولى: **أبا مالك بن يغمراسن بن أبي سمحة**، لكن انتفض عليه البربر وحاصروه بدعوة المروانية[3]، وأخرجوه سنة ثلاث مائة وثلاثة وعشرون هجري 323هـ، وقدموا على أنفسهم **أبا القاسم الأحدب بن مصالة بن حبوس**، فنزل على تاهرت **ميسور الخصي**، سنة ثلاث مائة وأربعة وعشرون (324هـ) وظفر بهم وقتل واليهم، وولى عليهم: **داوود بن براهيم العجيسي**، فأصبحت مكناسة التي كانت تحارب قبائل زناتة متحدة معها ضد العبيدين بعدما انقرضت ولاية المكناسيين هناك[4].

أما ابن خلدون فيذكر أنه بعد مهلك **مصالة ابن حبوس** أقام بعده **يصلتن**[5]**بن حبوس**، على تاهرت ثم هلك، وأقام بعده **حميدا**[6]، فانحرف عن الشيعة ودعا ل**عبد الرحمان الناصر** واجتمع مع بني خزر وأمراء جراوة على ولاية المروانية وأبناؤه أصبحوا تابعين للدولة الأموية وتحت حمايتهم. وعندما استولى على تاهرت سنة ثلاث مئة وواحد وعشرون هجري 321هـ بدأ يتبع الأدارسة وبنى القلعة[7].

---

[1]- أحمد ابن عذارى، المصدر نفسه، ص204.

[2]- نفسه، ص206.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص170.

[4]- مبارك ميلي،المرجع السابق، ص143.

[5]- جاء ذكر يصلتن في كتابات ابن خلدون وجاء بيصل عند أحمد ابن عذارى.

[6]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر نفسه، ص155.

[7]- نفسه، ص160.

لم يتصدَ العبيديون **لحميد بن يصل** هذه الفترة، لانشغالهم بثورة صاحب الحمار[1] حيث قال ابن عذارى عنه بأنه ظهر سنة ثلاث مئة وستة عشر 316هـ وكان ابتداء أمره[2].

في سنة ثلاث مئة وستة وثلاثون 336هـ توجه **الخليفة المنصور** إلى تاهرت ففر منها **حميدا** فملك المدينة وأحرق منبرها، لأن **حميد** ادعى عليه للأمويين، وولى على تاهرت **ميسور الفتى** فثار عليه أهل المدينة [3]بسبب سيرته الغير مرضية[4].

كاتب سكان تاهرت **محمد ابن الخزر**، فوجه إليهم جيشا بقيادة **الخير وحمزة** ابناه، و **عبد الله** أخوه و **يعلى ابن محمد ابن صالح اليفرني**، خرج إليهم **الميسور** مع جيش متكون من قبيلة لماية، ووقعت الحرب بينهم انتهت بمقتل **حمزة** وأُسر **ميسور**، واستولت زناتة على تاهرت.[5] ونزلوا بدار الإمارة واضطربت أحوال المدينة [6] بعد هذه الهزيمة خطط العبيديون لتفريق شمل زناتة. فاستمالوا **يعلى ابن محمد اليفرني** واعطوا له ولاية تاهرت[7] فأصبحت ملكا له[8]، إغاضةً **لمحمد ابن خزر**[9]، فبقيت المدينة تحت سيطرة **يعلى اليفرني الزناتي** حتى قدوم **جوهر الصقلي** قائد الشيعة سنة ثلاثمئة وتسعة وأربعون349هـ[10].

[1]- مبارك الميلي، المرجع نفسه، ص143.
[2]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص205.
[3]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص209.
[4]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص209.
[5]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص144.
[6]-أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص209.
[7]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص144.
[8]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج4،المصدر السابق، ص55.
[9]- مبارك الميلي، المرجع نفسه، ص144.
[10]- أحمد ابن عذارى، المصدر لسابق، ص209.

أمر **المعز لدين الله** قائده بإخضاع المناهضين له و أمر ولاة الجهات الأخرى بإمداده وخرج معه "**جعفر** صاحب مسيلة، **زيري** صاحب أشير، وانضم إليهم **محمد ابن خزر** بداعي منافسة **يعلى** ".فالتقى الجمعان على مقربة من تاهرت، انتهت الحرب بمقتل **يعلى**. وأرسل **جوهر** رأسه إلى **المعز**، وطُوّف به في القيروان. [1]وأصبحت تاهرت تحت ولاية " **زيري بن مناد** الصنهاجي صاحب أشير " [2] فرمى العبيديون زناتة بصنهاجة، وغلبوهم بذلك على تاهرت[3].

بدأ **زيري بن مناد** الدعوة للعبيديين في قبيلة **مليانة** و**مزغنة** ضد **مغراوة**[4] واستمرت الفتنة بين الطرفين ،فقد كانوا يؤيدون الدعوة المروانية بالأندلس، فأرسل **زيري بن مناد** ابنه **بلكين** في مقدمة الجيش: ودارت بينهم حرب قوية، اختل فيها جيش **زناتة**. ولما أدرك **محمد ابن خزر** الهزيمة مال إلى ناحية من الجيش الذي كان به، وحمل سيفه وذبح نفسه. فانقضى جموع **زناتة** واستمرت الهزيمة عليهم، وقيل أنه هلك بالمعركة اثنا عشر أميرا وبعث **زيري** رؤوسهم إلى **المعز** بالقيروان، فعَظُم شأنه وفرح بما جرى ،بعدها انتقمت **زناتة** وقتلوا **زيري** وبعثوا برأسه إلى **المستنصر** يؤكدون بهذا الفعل البيعة له مع **يحيى ابن علي** أخو **جعفر** سنة ثلاث مئة و ستون للهجري 360هـ ، لما وصل الخبر لابنه **بلكين** انتقم من **زناتة** أشد انتقام ودارت بينهم حرب شديدة كانت نتيجتها اعطاء تاهرت **لبلكين** ليتولاها[5].

[1]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص144.

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج4، المصدر السابق، ص56.،

[3]- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص144.

[4]- مغراوة بطن من بطون زناتة، انظر: ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص204.

[5]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص203-204.

جدول رقم (01): يمثل **الولاة** العبيديين الذين مرّوا بتاهرت من السقوط 296هـ حتى سنة(349هـ):

السنة	الوالي	المصدر / المرجع	الصفحة	مميزات فترة حكمه
296هـ	حميد بن دواس اللهيصي	ابن عذاري البيان المغرب	ص186	-ثار عليه أهل تاهرت. -حكم مدة 06 اشهر.
310هـ	مصالة ابن حيوس بن منازل بن بهلول المكناسي	ابن عذارى البيان المغرب	ص204	-استبد بتاهرت وخربها نتيجة الثورات التي واجهته. - قتله محمد بن خزر
319هـ	يصل بن حبوس أخ مصالة ابن حبوس	مبارك الميلي تاريخ الجزائر القديم والحديثج2	ص143	- لم تُفصّل المصادر في فترة حكمه
اخرج سنة 323هـ	أبو مالك بن يغمراسن بن أبي شحمة اللهيصي.	موسى القبال دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية	ص358	ثار عليه أهل تاهرت وعينوا مكانة أبو القاسم الأحدب
323هـ-324هـ	أبو القاسم الأحدب بن مصالة بن حبوس	ابن عذاري البيان المغرب	ص209	-نزل عليه ميسور الخصي وقتله وولى على تاهرت داوود .
324هـ	داوود بن ابراهيم العجيسي	موسى لقبال دور كتامة في الخلافة الفاطمية.	ص358	ثار عليه حميد بن يصل و أخذ مكانه.
331هـ	حميد بن يصل	ابن خلدون العبر ج 6	ص160	-مكث طويلا حتى وصل الأندلسودعى لهم -انحرف عن الشيعة
د.ت	ميسور الفتى	موسى لقبال دور	ص359	-اضطرب عليه أهل تاهرت

		الكتامة في الخلافة الفاطمية		-واجهه محمد بن الخزر -انهزم ميسور -اضطربت أحوال تاهرت بالرغم من سياسة القرية
349هـ	جوهر الصقلي	ابن عذارى	ص209	قضى على قوة أهل زناتة وشتت شملهم بأمر من الخليفة العبيدي.

تحليل معطيات الجدول :

من خلال ما ذكرناه سابقا حول أوضاع تاهرت وحول الولاة الذين حكموها ومميزات عهدهم يمكننا القول بأن المدينة في هذه الفترة أصبحت نقطة صراع بين القوة الشيعية وقبيلة زناتة، فقد حاول الاسماعيليون فرض سيطرتهم على تاهرت بالقوة وهذا ما بينه ابن خلدون عندما قال بأنه فرضوا مذهبهم غصبا عندما تركوا ولاة منهم على أرض تاهرت فأصبحت جزءا من رقعة وحدود الدولة العبيدية، لكن هذا لم يقبله أهل المدينة، وان فرّا لأئمة الاباضية عنها. فقاموا بالحروب واعلان التمرد، ما انعكس سلبا على عمران تاهرت، فخُربت القرى والمدن والمساجد والبنايات العمرانية بفعل الحرب.

كما خرب **محمد بن الخزر** ما بناه الشيعة، وهذا يعد أول تخريب شهدته تاهرت أثر على عمرانها، فتراجعت حضاريا في عهد الشيعة.

3- أثر الصراع الزيري الزناتي على عمران تاهرت :

أ-خروج الشيعة من تاهرت وتوليه بولكين:

إن رحيل الفاطميين عن بلاد المغرب واستخلافهم **لبني زيري** على أرضه، ما كان يعني تخليهم عن البلاد بشكل مطلق، بل يبقى المغرب إقليما تابعا لنفوذهم، يحكمه بنو **زيري** باسمهم. ويتمثل ذلك النفوذ في ضرب السكة باسمهم و الإبقاء على شعارهم، و تبادل الهدايا فيما بينهم، ومباركة **الخليفة الفاطمي** في مصر من يحكم المغرب من بنو **زيري**، وعليه فقد ظل المغرب الأوسط يخضع للنفوذ الفاطمي و تحكمه الأسرة الزيرية منذ أن أوكلوا الولاية إلى **بلكين**[1].

لما استقر رأي **المعز** على اختيار **بلكين** نائبا له، استدعاه وقال له :" تأهب لخلافة المغرب." استعظم **بلكين** ذلك،[2] فقال :" يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم ما صفى لكم المغرب ! فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري؟ قتلتني يا مولاي بغير سيف ولا رمح."

فلم يزل به **المعز** حتى أجاب[3] فسماه اسما عربيا وهو **يوسف** وكناه كنية عسكرية وهي" **أبو الفتوح**" و لقبه **سيف الدولة**[4].

من جهة أخرى يذكر أبو زكريا الورجلاني وصايا **المعز** ل**بلكين** فيقول:" اشفني في أولاد المجوس من زناتة ومزاته وأني تركت لك في أفريقية مائة ألف منزل، فاجعل في كل منزل فارسا تكتفي به لمحاربتها"[5].ويضيف ابن خلدون في هذا الصدد بأن **المعز لدين الله** أوصاه بثلاث وصايا وهي :" أن لا يرفع السيف عن البربر و لا يرفع الجباية عن أهل البادية وأن لا يولي أحدا من أهله "[6].

---

[1]- البشير بوقاعدة، المرجع السابق، ص16.

[2]- المقرزي، **اتعاظ الحنفا**، ج1، دار الكتب، مطابع الأهرام التجارية، 1970، ص99.

[3]- حسن حضيري، **علاقات الفاطميين بدول المغرب في مصر**، ط1، مكتبة مدبوحي للنشر والتوزيع، كلية الآداب جنوب الوادي، مصر، ص30.

[4]- لسان الدين ابن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تح: أحمد العبادي ومحمد ابراهيم الكتابي، دار البيضاء للنشر، 1964، ص65.

[5]- أبو زكريا، المصدر السابق، ص205.

[6]-عبد الرحمان ابن خلدون ،**العبر** ،ج6،المصدر السابق، ص205.

أوصاه أيضا بقطع علاقته مع الأمويين.[1] فجعل خاتمه في يده، ونفّذ كتابه إلى سائر الأقطار بالسمع والطاعة، وأرسل **بلكين** العمال إلى أعمالهم و الكور والكتب والرسائل باسمه : "**عبد الله الفتح يوسف بن زيري خليفة المؤمنين**" سنة ثلاث مئة واثنان وستون للهجرة (362هـ) من ربيع الأول [2]. وبالتالي أصبح لأول مرة في التاريخ رجل بربري من صميم أهل سكان بلاد المغرب رئيس دولة إسلامية كبيرة ومستقرة السلطان.

يقول حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الدولة الفاطمية عن الخروج الشعبي من بلاد المغرب الأوسط أنهم قد تطلعوا لذلك منذ قيام دولتهم بالمغرب، حيث وجّهوا أنظارهم إلى مصر لثرائها و أهمية موقعها الجغرافي سياسيا و حربيا، خصوصا أن ولاة هذه البلاد كانت لهم ولاية الشام والحجاز. فكان امتلاك مصر امتلاكا لهذين الإقليمين[3]. فلما اطمأن الخليفة المعز على استقرار الأوضاع بالمغرب خرج في الواحد والعشرون من شوال سنة ثلاث مئة وواحد وستون للهجرة(361هـ) على حد قول حسن الخضيري في موكبه من المنصورية[4] إلى مصر وترك آل **زيري** كما ذكرنا سابقا ليخلفوه الحكم ويتولوا الخلافة باسمه[5].

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم وهو لماذا اختار **المعز لدين الله الفاطمي بلكين** من قبيلة **صنهاجة** لإدارة أحوال المغرب الأوسط من بعده بصفة عامة وإدارة تاهرت بصفة خاصة؟

إن الموقف الداعم الذي قدمه آل زيري السياسي والعسكري للدولة العبيدية، جعلهم يترشحون ليكونوا خلفاءهم على بلاد المغرب، حيث كانوا ساعدهم الأيمن للوصول إلى أهدافهم السياسية والمذهبية[6].

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص205.

[2]- مجهول، **تاريخ البربر (مفاخر البربر)**، تح: محمد زينهم، ط1، جهاد للنشر والتوزيع، دت، ص26.

[3]- حسن ابراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1964، ص113.

[4]- المنصورية: مدينة بالقرب من القيروان، من نواحي افريقية تتباها المنصور القائم الفاطمي، انظر: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، ص22.

[5]- حسن الحضيري أحمد، المرجع السابق، ص32.

[6]- ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص203.

نالوا رضاهم خاصة وأن قبيلة **صنهاجة** كانت تتوفر على إمكانيات مادية وجيش قوي ،غير أن سياسة الفاطميين التي اتخذتها تجاه القبائل المغربية قد ميزها أسلوب التمييز، حيث حرصوا على استمالة القبائل المنضوية تحت لواتهم لتفادي الصدام مع قبائل أخرى تناهضهم، وأقدموا على ضرب أعدائهم ببعضهم. كما فعلوا بقبيلة **زناتة** التي ضربوها بقبيلة **صنهاجة**[1].

كما سعى الفاطميون لاستثمار الصراع المستمر بين البرانس(كتامة، صنهاجة) والبتر(قبيلة زناتة)، لتحقيق أغراضهم السياسية والمذهبية عن طريق دعم البرانس[2]. و من جهة أخرى فقد دعمت الدولة العبيدية **صنهاجة** وولتها مكانها من بعدها لأنها توددت للعبيدين في كل مواقفهم ودعمتهم. وكانت راضخة لهم. فلم تقم بأي حركة تمرد ضد الفاطميين[3].

أما عن سبب اختيار **بلكين بن زيري** واليا من بعدهم، فيرجع ذلك لأحداث تاريخية قد جرت قبل خروج الشيعة من تاهرت:

فقد فرض العبيديون مذهبهم بالقوة و أثقلوا كاهل السكان بالضرائب، فأزعج هذا السكان المغرب سواءً الإباضيون منهم أم السنيون فتمردوا عليهم، ومن بينهم مخلد ابن كيداد[4] حيث تعد ثورته من أقوى الثورات التي واجهها الشيعة[5].

---

[1]- ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص203.

[2]- شهاب الدين التويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج22،تح: عبد المجيد ترجيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص ص 305-306.

[3]- ابن أثير، **الكامل في التاريخ**، ج7، تح: محمد يوسف الدقاق، ط2، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، لبنان، 1995هـ.

[4]- مخلد بن كيداد: صاحب الحمار: أبا يزيد النكاري، أصله من البربر، كان يمارس الزهد، نشأ في قسطيلة وخالطا النكاري وأصبح اماما من أئمتهم، كان في مبدأ الأمر معلما للصبيان ثم أخذ عن نفسه العمل لتغيير المنكر، فكثر أتباعه وعقب وفاة المهدي العبيدي 322هـ، أعلى الثورة في جبل الأوراس ولقب شيخ المؤمنين ثم استولى على القيروان وحاصر القائم العبيدي في المهدية، وبدأ البربر ينقضون على المهدي لما ارتكبه من أعمال وحشية. للإحاطة أكثر أنظر إلى: أبو زكريا ورجلاني، سير الأئمة، ص175.

[5]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص216.

أما ابن خلدون فيقول أن **زيري بن مناد** أقام بإفريقية، كانت بينه وبين **مغراوة** من **زناتة** المجاورة له حروب وفتن، ولما استوقف الملك للشيعة، تحيز لهم وأصبح تابعا لهم، ولما قامت ثورة النكار تحيز للشيعة ضده[1].

ب- التخريب الصنهاجي (آل زيري) لتاهرت :

لقد شهدت تاهرت تخريبا عمرانيا من قبل الشيعة منذ دخولهم إلى المغرب الأوسط إلى غاية خروجهم إلى مصر، فأصبحت مركزا عسكريا لهم فيما بعد. وكانت المدينة محل أطماع للقوة المنافسة للعبيدين (كالدولة الأموية بالأندلس)، و استمر هذا النزاع حولها إلى غاية حكم أسرة بني زيري. حيث أن عمران المدينة لم يسلم من التخريب، وأوله الذي حدث في عهد **بلكين بن زيري**.

سار **بلكين** على نهج العبيديين واستقر بالقيروان (صفاقس) سنة ثلاث مئة واثنان وستون 362هـ. وأجمع على غزو المغرب، فغزاه في جموع قبيلة **صنهاجة** و**كتامة**، ففرّ **ابن الخزر** صاحب المغرب الأوسط إلى **سجلماسة**. وفي نفس الوقت وصل ل**بلكين** خبر من رسوله، مفاده بأن **خلوف بن محمد** يبلغه بأن أهل تاهرت خرجوا عن طاعته، وثاروا عليه سنة ثلاث مئة واثنان وستون للهجرة 362هـ من رمضان [2].ما إن وصل إليها دخلها عنوة بالسيف، فقتل وسبى ونهب وأحرق المدينة [3]وفي هذا السياق يفصل النويري أكثر في قوله:" دخل البلد بالسيف في شهر رمضان وقتل وسبى وأحرق البلد"[4].

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص203.

[2]- نفسه، ص206.

[3]- ابن أثير، المصدر السابق، ص337.

[4]- النويري، المصدر السابق، ص93.

من خلال النصوص التاريخية التي قدمناها المتحدثة عن التخريب الزيري لتاهرت، يمكننا القول بأن المدينة تعرضت للحرق والنهب في عهد **بلكين** على غرار المدن المغربية الأخرى، ك**بغاية** التي أدب المعارضين له ولم يتعرض للمدينة .

فيتبين لنا أن أهل تاهرت استمروا في العصيان والتمرد و أن **آل زيري** واصلوا ما أمر به العبيديون من تأديب لأهل زناتة و التنكيل بعمرانها، التي كانت وظلت نقطة صراع. فلماذا ركز **بلكين** على تخريب المدينة على غرار المدن الأخرى المعارضة له ؟

لقد تعرضت المدينة لهذا التخريب في عهد **بلكين** في ظل الصراع المستمر بين قبيلي **زناتة** و**صنهاجة** وكذلك الحركات التمردية والعصيان، وإعلان الثورات ضد السلطة **الزيرية** من طرف أهلها، واعتبرها **بلكين** أنها العصب المحرك للفتن داخل بلاد المغرب الأوسط، فتواصلت عمليات التخريب فدفع ثمنها عمران تاهرت، وأهلها (القتل ،النهب، السبي)[1].

بعد وفاة **بلكين** تولى حكم الصنهاجيين ابنه **المنصور** الملقب **بالعزيز بالله**، وكُني **بأبا الفتح**[2]، بقيت تاهرت مستقرة سياسيا وعسكريا بعد وفاة والده إلى غاية سنة ثلاث مئة وتسعة وثلاثون هجري 339هـ اضطربت أحوالها. بعد توليته للحكم عقد لعمه: **أبي البهار** ولاية المدينة [3]، وفي سنة ثلاث مئة وتسعة وثلاثون للهجري 339 هـ خالف **أبو البهار ابن الزيري**،ابن أخيه **المنصور** بسبب شيء جرى بينهم لم يحمله لعزة نفسه على حد قول ابن خلدون[4].فسار إلى عمه ودخل تاهرت مع عساكره فانتهبوها حتى طلب أهلها الأمان ،فأمّنهم ولحق بعمه ولكنه فر إلى **فاس** قاصدا **زيري ابن عطية**[5].

[1]- البشير بوقاعدة، المرجع السابق، ص160.

[2]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص239.

[3]- هرباس جازية، المرجع السابق، ص163.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص321.

[5]- ابن أثير، المصدر السابق، ص441.

أما في عهد **باديس ابن المنصور** 386 - 406هـ تواصل الخطر الزناتي على الصنهاجيين، بسبب حصار **زيري ابن عطية الزناتي** مدينة تاهرت سنة ثلاث مئة وستة وثمانون 386هـ[1] فعادت لتصبح مسرحا للصراع من جديد[2]، فأرسل **باديس** جيشا لإخضاع **ابن عطية الزناتي**[3]فانهزم وفرّ بنفسه[4]، ويقول رشيد بورويبة في كتابه الدولة الحمادية في هذا الصدد بأن: **باديس** أرسل جيش بقيادة **محمد ابن أبي العرب** و**حماد** والي **أشير** ،فوصل إلى تاهرت واجتمع بـ **يطوفت** فوقعت معركة شديدة بينهم، انهزم فيها **حماد** وانتصر **زيري بن عطية**[5].

ظهر الصراع حول السلطة داخل الأسرة **الزيرية** في عهد **باديس بن المنصور**، فقد أراد أعمامه أخذ الحكم منه، لكن عمه **يطوفت** والي تاهرت دعمه وأكد له الولاية[6].واستمر الخلاف داخل الأسرة ،وبعد ما قام **باديس** بالتصدي للحظر **الزناتي** ومحاربته ،أعطى عمه **حماد** مهمة محاربة مخالفيه (زناتة) و أمدّه بالخيل والسلاح والعدّة فكثُر عساكره وعظم شأنه[7].أما ابن خلدون فيذكر بأن الصراع كان بين **باديس** وعمه **حماد** حول الحكم وجرت بين الطرفان حرب، انهزم فيها **حماد** فرغب بالصلح، واستجاب له **باديس** بالموافقة، فاقتسما حدود الدولة وأعطى لعمه تاهرت وأشير والمسيلة وما يفتتحه من بلاد المغرب، وهنا تكون المدينة عرضة لصراع آخر و أصبحت تابعة لحماد[8].

---

[1]- ابن أثير، المصدر السابق، ص465.

[2]- هرباس جازية، المرجع السابق، ص163.

[3]- ابن عطية: الزناتي والي ابن عامر الأندلسي بفاس، بالمغرب الأقصى كان معارضا للزيرين، للإحاطة أكثر انظر: ابن أثير، ج7، ص441.

[4]- ابنأثير، المصدر السابق، ص465.

[5]- رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجزائرية الجامعية، 1977م-1397هـ، ص19.

[6]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق، ص247.

[7]- نفسه، ص ص 247-248.

[8]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص209.

هَزم **حماد** مخالفي **باديس**، لكن الأخير تخلف عن وعده بإعطائه المناطق التي فتحها، فخرج **باديس** بجيشه وحاصر **حماد** في القلعة التي بناها ،وبقي متحصنا بها حتى مات سنة أربع مئة وستة هجري 406 هـ[1].

تقول الأستاذة هرباس جازية في مقالها: تاهرت بين الازدهار والانهيار عن الصراع الحمادي الزيري: "... قد كانت تاهرت بمثابة المنطقة التي سيأوي اليها **حماد بن بلكين** بعد 25 كلم من الشط، ومنها إلى القلعة ،وابتداء من سنة 408 هـ/1018مـ ثم الاتفاق بين الفرعين :**الزيري** و **الحمادي**، فكان ذلك ايذانا بظهور الدولة الحمادية 408هـ/1018مـ التي أصبح فيها نفوذ **حماد** يتربع على نطاق واسع يضم المسيلة...تاهرت".[2] فكانت المدينة من بين أهم المدن التي شملتها الدولة الحمادية، ولقد تأثرت بإعلان القطيعة عن الخلافة الفاطمية و إعلان التبعية للخلافة العباسية.. وعاد المذهب السني للمنطقة 443 هـ/1052مـ[3].

لم تشر الأستاذة إلى أي تخريب حدث في تاهرت عندما كانت تحت نفوذ الحماديين، أما ابن خلدون فيقول :".. لم تزل تاهرت هذه ثغرا لأعمال الشيعة وصنهاجة وسائر أيامهم، تغلبت عليها زناتة مرارا ،ونازلها عساكر بني أمية زاحفة في أثر زيري.. دامت الحروب والفتن إلى أن زالت ،ثم صارت لدولة الموحدين"[4].

[1]- النويري، المصدر السابق، ص111.

[2]هرباس جازية، المرجع السابق، ص163.

[3]- نفسه، ص163.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص145.

من خلال النصان المقدمان ومن خلال اطلاعنا على المصادر التاريخية المتحدثة عن التخريب الزيري بتاهرت يتبين لنا: أن المدينة شهدت بعض الاستقرار في العهد الحمادي وذلك بسبب الانشقاق الذي حدث داخل الأسرة الزيرية، ورغبة **حماد** في تأسيس دول مستقلة عنهم، فظهرت مدن جديدة كالقلعة، التي أصبحت مركزا مهما على حساب تاهرت.

فقد مثلت حصنا لصاحبها إثر صراعه مع ابناء عمومته، وبهذا شهدت تاهرت نوعا من الهدوء السياسي، فلم تُحرق ولم تُخرب في هذه الفترة، حيث أن ابن خلدون لم يتحدث عن أي تخريب أحدثه الحماديين بل انتقل مباشرة إلى آخر وقيعة حدثت بتاهرت.

4- أثر بني غنية على مدينة تاهرت : (612هـ-1216م)

أ- في ذكر ابتداء أمر الموحدين والمرابطين:

بالرغم من أن تاهرت شهدت نوعا من الاستقرار السياسي و العسكري في فترة حكم الحماديين لها، إلا أنها لم تسلم للمرة الثالثة من صراع آخر شهده المغرب بين قوتين متضادتين، أثرا على عمرانها وهما الموحدين والمرابطين.

ابتدأ أمر المرابطين سنة أربع مئة وخمسة وأربعون للهجرة 445هـ، حيث خرجوا من الصحراء في عدد ضخم بعدما كوّنوا عدتهم وجمعهم إلى جبل **سجلماسة** للدعوة إلى مذهبهم، فتصدى لهم "**بن واندنين**" أمير **مغراوة** وصاحب **سجلماسة** لكنه انهزم، فأخذوا عساكره وأمواله ودوابه...ودخلوا **سجلماسة** وقتلوا من كان بها من مغراوة إلى صحرائهم، ثم ذهبوا إلى **لواتة** وقتلوا من بها **زناتة**[1] وانتقلت قبائل **مصمودة** وجعلوا **مراكش** حصنا عسكريا لهم[2].شرعوا بالهجوم شرقا على المغرب، بدأوا ب**القلعة** ثم **مغراوة** واقتحموها وقتلوا من كان بها من أولاد **واندنين**، ثم رجع **تاشفين** إلى **فاس** وافتتحوها صلحا قال ابن خلدون عن جماعة **تاشفين** " اشتهروا بالتقتيل والتخريب وصعدوا إلى الأندلس "[3].

من جهة أخرى ظهر أمر الموحدين ففشت كلمتهم بالمغرب وعلا شأنهم فكان أول من بايع المهدي ابن تومرت من قبائل المصامدة **هنتانة**[4] جد المصامدة وجاء بعده يوسف بن واندين، ولما هلك المهدي عهد إلى **عبد المؤمن** بعده الخلافة، فزحف إلى المغرب الأوسط قبل فتح مراكش. وحمّل **زناتة** على الدعوة بعد أن أثخن فيهم[5].

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6،المصدر السابق، ص ص 244، 245.

[2]- أحمد ابن عذارى، المصدر السابق،ص16.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص246.

[4]- نفسه، ص246.

[5]-نفسه ،ص375.

فأصبحت تاهرت تابعة لهم إقليميا، ثم قرر فتح المهدية. وتولية ابنه **محمد** عليها وأكمل عملياته العسكرية[1] سنة خمس مئة وواحد وأربعون 541هـ[2].

لقد كان لهذا الصراع القبلي بين دولة المرابطين ودولة الموحدين أثر كبير على المدن التي حلّوا بها، فكلما كانت دولة المرابطين تضم مدينة أو قبيلة تحت لوائها، تنافسها دولة الموحدين، فيعثوا فيها فسادا. ولعل أهم تلك المدن التي دفعت ثمن هذا الصراع و التنافس مدينة تاهرت التي هلكت عن آخرها، بسببها ودُمر عمرانها وفرّ منها أهلها.

ب- تخريب ابن غانية لعمران تاهرت :

بعدما أصبحت تاهرت تابعة للحكم الموحدي وملكوها، خرج إليهم **ابن غانية**[3]بناحية **قابس** وبدأ يتعدى ويهاجم ثغور الموحدين ويشن الغارات عليهم ، فقد دخل المدينة مرات كثيرة[4] فلم تدم طويلا تحت سيطرة الموحدين، فاستولى عليها **ابن غانية** وكان ذلك آخر عهد لها[5].

ويفصّل ابن خلدون أكثر حول تداعيات الزوال العمراني لتاهرت مع **ابن غانية** فيذكر بأنه: في الفترة التي هاجم فيها **ابن غانية،** كان الموحدين بالأندلس منشغلين بالفتن هناك، جمع **ابن غانية** الأعراب ونزل إلى **قابس،** فأرسل **الناصر** الموحدي **أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابن حفص** في عسكر الموحدين ،أوقع ب**ابن غانية** وأسره وأهلك من معه، واستولى على معسكره، ورجع إلى **الناصر** من حصار المهدية وفتحها ثم رجع إلى تونس سنة ستة مئة وثلاث هجري (603هـ)وأعطى الأمر لأخيه **أبا إسحاق** ليتبع الثائرين ففرّ **ابن غانية** إلى الصحراء وانقطع خبره لفترة[6].

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، ج6،المصدر السابق، ص375.

[2]- نفسه، ص246.

[3]- ابن غانية: هو أبو زكريا يحي ابن علي بن يوسف الماسوفي أحد ولات وقادة المرابطين بالأندلس.. .، انظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص145، ج7، ص92.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6،المصدر السابق، ص145.

[5]- عبد القادر دحدوح،(**تاقدمت تاهرت: معطيات ميدانية ورؤيا جديدة**)، مجلة دراسات في أثار الوطني العربي، ع9، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ص279.

[6]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص ص 370 373.

رجع **أبا إسحاق** إلى تونس، فعزم **الناصر** على قمع الثائرين وضم افريقية له، فتخوف من **ابن غانية** على أن يدخل إلى افريقية من بعده، فكر في وضع من يخلفه فوقع الاختيار على **أبي محمد ابن الشيخ ابن أبي حفص**، فامتنع أول مرة على ذلك ولما بعث له ابنه **يوسف** قَبِل بشروط، فارتحل الناصر إلى المغرب الأوسط (تاهرت) .ومن جهة أخرى عاد **ابن غانية** إلى طرابلس فجمع أحزابه(العرب الهلالية، بنو سليم) عادت الثورات ضد الموحدين. فخرج إليهم **أبو محمد** سنة ستة مئة وأربعة للهجرة604هـ في عساكر الموحدين فهزمهم وفر **ابن غانية** إلى أقصى مفره، ورجع **محمد** إلى تونس ليخبر **الناصر** بالنصر، وأن يعطيه الحكم على تاهرت، فأعطاه المال وأمره بالتريث [1].

ويضيف ابن خلدون حول هذه الواقعة فيقول بأن ابن غانية لما أفلت من واقعة أشير كان يريد الذهاب إلى بلاد **زناتة** بنواحي **تلمسان**[2]. حيث ذكر في كتابه العبر في الجزء السابع أن **زغبة** احدى بطون الهلالين، انظموا إلى الموحدين وتحيزوا إلى **زناتة** فزاد حقد **ابن غانية** عليهم[3].

جاء مع ذلك الحدث وصول الشيخ **أبي عمران بن يوسف بن مؤمن** والي على **مراكش**، فخرج إلى بلاد زناتة للتوسع، فكتب إليه **أبو محمد** ينذره بشأن حماية **ابن غانية** فأبى ذلك وارتحل إلى تاهرت صحبته، فانقض معسكره وفرت قبائل **زناتة** إلى حصن لها، وقُتل **أبو عمران**[4].فدخلها **ابن غانية** وخربها واستباح ضواحيها ودمر آثارها فلم تبق بها لا قصور ولا حمامات وقد أتى على آخر عهدها[5].

[1]- نفسه ص375.

[2]- نفسه، ص374.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج7،المصدر السابق، ص92.

[4]- عبد الرحمان بن خلدون، **العبر**، ج6، المصدر السابق، ص371.

[5]- هرباس جازية، المرجع السابق، ص164.

يقول شخوم سعدي في هذا الصدد، بأن تاهرت تعرضت لآخر عملية هدم نهائي بسبب حرب **ابن غانية** و**أبي عمران بن موسى** فلم تُعمّر بعدها وكانت هذه الفترة نهاية الدور العمراني والسياسي للمدينة بعد النكبات التي شهدتها بسبب وجودها في الواجهة الجغرافية للصراع وتعاقب الثورات عليها مع التخريب [1].

مما سبق وقيل حول التبعية السياسية والعسكرية التي مرت على تاهرت منذ سقوطها 296هـ إلى غاية الزوال 612هـ يمكننا القول بأن :

تاهرت شهدت أحداث تخريبية لعمرانها بشكل تدريجي بداية من العبيدين الذين كانوا أول من استباح المنطقة وخربوها وأحرقوها، بقيادة داعيهم **أبو عبد الله الشيعي** إلى **المهدي** من خلفهما بعد وفاتهما. فلم يرضى أهلها هذه القوى الجديدة التي حلت على أرضهم، فقاموا بحركات تمردية وثورات ضد الشيعة، ما انعكس بالسلب على عمرانها، فخرب الزناتي "**أبي الخزر**" تاهرت بدعم من الأمويين من الأندلس، اشتد الصراع عليها نتيجة انضمام قوى سياسية وعسكرية جديدة إلى الأحداث. ثم بعد ذلك خُربت مرة ثالثة مع آل **زيري** خليفة الشيعة بالمغرب، خاصة في عهد **بلكين**. لتشهد حالة فتور وهدوء مع الحماديين عندما أصبحت ضمن مجالهم الجغرافي لينتهي دور تاهرت الحضاري والعمراني مع الصراع الموحدي المرابطي على أرضها سنة 612هـ .

[1]- شخوم سعدي، (**ظاهرة خراب المدن بالتراب والمغرب الأوسط أسبابها ومظاهرها وآثارها**)، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، ص517.

الفصل الثاني: المظاهر الحضارية لتاهرت بعد السقوط الرستمي (296-612هـ/909-1216م)

1- المظهر العمراني لتاهرت بعد (296-612هـ).

2- المظهر الاجتماعي لتاهرت بعد (296-612هـ).

3- المظهر الاقتصادي لتاهرت بعد(296-612هـ).

4- المظهر الفكري لتاهرت بعد(296-612هـ).

شهدت تاهرت تخريبا من فترة سقوطها سنة مئتان وستة وتسعون للهجري 296هـ/909مإلى غاية زوالها نهائيا سنة ستمئة واثنا عشر للهجري 612هـ/1216م.

ابتداءا من الدخول الشيعي كما ذكرنا سابقا إلى غاية الصراع الزيري الزناتي، مرورا إلى فترة امتلاك الموحدين لها، فذكرنا من تسبب في تخريب وكيف اشتدت حدة الصراع بدخول الأمويين بالأندلس له في الفصل الأول.

سادت الاضطرابات بالمنطقة، وكثرت الفتن والحروب، فأصبحت مركزا عسكريا ودار للثوار فانعكست هذه الأحداث سلبا على الجانب الحضاري. ونحن في هذا الفصل سنحاول أن نبين النتائج المترتبة عن السقوط. سواءً في الجانب الاقتصادي أو العمراني والفكري و الاجتماعي.

1- المظهر العمراني لتاهرت بعد (296-612هـ).

أ-الزوال التدريجي لعمران تاهرت:

يمكننا اعتبار أن هذا الجانب هو أكثر الجوانب تضررا، نتيجة سقوط الدولة الرستمية بصفة عامة وعاصمتها تاهرت بصفة خاصة، فتاريخ دولة ما يكمن في عمرانها وخراب عمرانها من خراب تاريخها. فقد مر عليها قوات سياسية متتالية في فترات مختلفة، وكل قوة كانت تدخل أرضها كانت تؤثر على عمرانها بشكل أو بآخر، وهذا ما تؤكده المصادر التاريخية. وليس هذا فقط بل حتى سكان المدينة الأصليين من قبيلة زناتة قد أثروا على عمرانها الحضاري، من حرق ونهب وتقتيل...

ومما لا شك فيه أن تطور دوله ما، يكمن في كمية العلم الذي تنتجه، وما فقدته تاهرت أثناء هذه الفترة مكتبتها المعصومة وان شكك البعض من المؤرخين في صحة هذا الحرق والتخريب لها.

وسنفصل بالترتيب مراحل التخريب الذي مر على عمرانها، خاصة في عهد العبيدين كما ذكرنا في الفصل السابق، وسنبينه في جدول يوضح الشخصيات التي تسببت في هذا التخريب.

جدول رقم (02): يمثل الأماكن المخربة من عمران تاهرت خلال العصر العبيدي:

	أماكن التخريب					
	العاصمة تاهرت	المنبر	المكتبة	أسواق تاهرت	هدم سور تاهرت	قرى ومدن مجهولة من تاهرت
المخرب عبد الله الشيعي 296	أحرق العاصمة (296هـ/909م)		احرق المعصومة (296هـ/909م)			
عبيد الله المهدي						298هـ/911م
						299هـ/912م
				305هـ/917م		
					316هـ/948م.	
اسماعيل المنصور		336هـ/948م				
المعز لدين الله الفاطمي	347هـ/959م					
خير الدين بن محمد	360هـ/971م					

من خلال الجدول يمكننا القول بأن عمران تاهرت قد خُرب أول مرة سنة (296هـ) مع الداعي الشيعي أبو عبد الله، فأحرق العاصمة وبعدها المكتبة. ليليه الخليفة عبيد الله المهدي فأحرق قرى ومدن مجهولة بتاهرت سنة (298هـ) وفي السنة الموالية أحرق نفس المدن، وقام في سنة (306هـ) بحرق أسواقها، أما في سنة (319هـ) هدم سور المدينة.

لم ينته التخريب فقط على الأب، بل خلفه ابنه في ذلك: اسماعيل المنصور، ففي سنة (336هـ) أحرق منبر تاهرت. ثم أُحرقت العاصمة مرة ثانية في عهد المعز لدين الله الفاطمي وذلك في سنة (347هـ). لم يكن التخريب قاصرا فقط على العبيدين، بل حتى خير الدين بن محمد الزناتي، أحرق تاهرت سنة (360هـ) نتيجة الثورات التي قام بها ضد الشيعة.

ان ذروة خراب عمران تاهرت كان بظهور الدولة العبيدية سنة مئتان وستة وتسعون للهجري (296هـ) حيث كانت الحرب بين هذه الأخيرة والرستميين ذات طابع مذهبي، فمن الطبيعي أن تتسم العلاقات بين الإباضية والشيعة بالبغض فمن الجهة السياسية الشيعة هم من قضوا على إمامة الظهور، أما من الجهة المذهبية فهناك خلاف بينهما من ناحية الفروع خاصة في مسألة الخلافة، فلا غرابة من أن يصطدما ولو مؤقتا، ويتبين أنه من أسباب الصراع أيضا معاناة الإباضية من سياسة القمع التي سلكها أبو عبيد الله فقد فرض عليهم ضرائب باهضه، واستبد عليهم الحياة.[1]

وان القارئ لتاريخ تاهرت سيلاحظ كمية التخريب الذي طال عمرانها خلال فترة حكم العبيدين لها. فلماذا خرب الداعي الشيعي تاهرت؟

أرجع إبراهيم بحاز سبب تخريب الداعي لتاهرت هو طمع الداعي من الاستفادة من مركزها التجاري ورغبة منه في تموين جيوشه بالغلات التاهرتية، إذ أنها مشهورة بخصوبة أرضها وكثرت حبوبها الأمر الذي أغرى الداعي الشيعي، فقصدها ناهبا ومخربا في آن واحد[2].

لم يقتصر التخريب العمراني للمدينة على الشيعة فقط، بل كان لقبيلة زناتة دور في ذلك، ونقصد بهذا زعماءها، لكن ما يتبادر للذهن هو لماذا خرب سكان زناتة تاهرت وهدموا ما بناه الشيعة بها، بالرغم من أن تاهرت ملكهم وهم سكانها الأصليون كما فعل ابن خزر؟

---

[1]- بوستة نسيبة، بحاش أسماء، مهني سميرة، **الصراع المذهبي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (3-4هـ/ 9-10م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ القرون الوسطى، جامعة محمد بوضياف، المسيلة الجزائر، (2014-2015م)، ص35.

[2]- ابراهيم بحاز، **الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)**، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2،المطبعة العربية للنشر، غرداية، الجزائر،1993، ص133.

فنجد في رسالة ابن خزر إلى الناصر الأموي صفات وعبرات مسيئة لتاهرت، (كدار المشركين واليهود، ولعنهم الله...) ويتوعد بتخريب ما بناه الشيعي.

على غير المعتاد فنجد في الرسائل التي وجهت إلى الأمراء والحكام من الثوار طالبين المعونة يصفون وطنهم بكلمات يملؤها التحسر والرغبة في استرجاعها. فهل يعود ذلك الحقد اتجاه تاهرت ووصفها بتلك الصفات سلبية كمستوطن لليهود نسبة إلى نسب الشيعة اليهودي [1] الذي أكدت عليه بعض المصادر أم لأن مؤسسها اباضي من الخوارج؟.

يقول ابن خلدون في مقدمته عن نسب المؤسس (الحاكم): يجب أن يكون صاحب شرف وأصالة يغلب عليه التعصب، فرؤساء القبائل يتوجب فيهم النسب الشريف وهو ضروري كضرورة العصبية بالنسبة للحاكم، لينال حب القبائل وإقبالهم عليه والدفاع عنه والولاء له[2].

هل يفسر هذا سبب ابتعاد أهل زناتة عن الرأفة بتاهرت فقاموا بتخريبها، لكون المؤسسة عبد الرحمان ابن رستم اباضي، وقبيلة زناتة مدّعمة من طرف الأمويين بالأندلس أصحاب المذهب السني ونسبهم عربي شريف يعد إلى سيدنا معاوية ابن أبي سفيان وعبد الرحمان من الخوارج. من جهة أخرى فقد كانت هناك حروب محتدمة بين صنهاجة وقبيلة زناتة انعكست بالسلب على عمران تاهرت.

[1] – نسب الشيعة: اختلفت المصادر على تحديد نسب الشيعة، وتباينت الأراء حوله، فمن الذين أرجعوا أصل الشيعة إلى اليهود نجد: ابن كثير، القاضي البلاقلاني، والفقيه المالكي عبد الله بن التبان، والسيوطي...

يرجع أصل الشيعة إلى ميمون: وهو بن الأسود القداح ،ولقب بالقداح لأنه كان يعالج العيون ويطيبها ويقدح الماء النازل بها: انظر الفرق بين الفرق لمجهول، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة ص ص 62-63.

ويقال ميمون ابن ديصان ، وديصان رجل يهودي. انظر: قواظم فوزي خيري، (**ملامح من سير ميمون القداح**)، ع19، مجلة أبحاث ميسان، دم، 2014، ص88.

[2] – عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص ص 235-236.

أرجع ابن خلدون الصراع بين هاتين القبيلتين الى صراع قبلي قديم[1]، فقد كان أمراء زناتة رجال دولة، أفنوا حياتهم من أجل رفع قبيلتهم إلى دولة أو حتى إمارة كبرى[2].

ولما ظهر أمر الفاطميين زحف صنهاجة لمواضع زناتة وهدموها، وهو ما لوحظ أيضا لدى دولة المرابطين في زحفها على مواضع مغراوة الزناتية بأرض تاهرت.[3]

كان هذا الصراع بين زناتة وصنهاجة في الظاهر فقط لكن في الواقع كان هذا القتال بين أنصار المذهب السني الأموي وأنصار المذهب الشيعي الفاطمي إذ يسعى كل طرف لجلب أنصار وحلفاء لمذهبه[4].

ب- الآثار العمرانية لتاهرت:

كانت تاهرت تضم العديد من المباني العمرانية الفخمة، أولها المسجد الجامع، وتوزع الناس بالمدينة على شكل أحياء، فنجد: (حي الكوفيين، حي القرويين، حي البصريين،...) وكان لكل حي مسجد خاص به[5]. ويوجد بالمدينة قصور كقصر عبد الرحمان بن رستم وقصر أفلح بن عبد الوهاب وقصر ابن عرفة، إلى جانب هذا بنيت عدة حمامات، فاق عددها اثنا عشر حمام[6] وأحيط بالمدينة سور لحمايتها[7].فيها أربعة أبواب: باب الصبا، باب المنازل، باب المطاحن، ويذكر البكري أنه كان بتاهرت قصبة تسمى المعصومة[8].

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج6،المصدر السابق، ص142.

[2]- بومنقار محمد، **زناتة المغرب الأوسط بين مشروع تأسيس دولة قوية والاصطدام بفشل السلطة السياسية**، ما بين القرى (2 4هـ/ 8-10م) ع4، مجلة العصور الجديدة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2020، ص63.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج7،المصدر السابق، ص62.

[4]- قصيدة يحياوي، نصيرة مداني، **الصراع الزناتي الصنهاجي (296هـ-461م/908-1968م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة العصر الوسيط، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، 2014م، ص34.

[5]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص36.

[6]- عبد القادر دحدوح، الرجع السابق، ص688.

[7]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي للنشر، 1983،ص40.

[8]- البكري، المصدر السابق، ص66.

توسعت المدينة لاختلاف المذاهب والعناصر وأصبحت كل طائفة لها حي خاص بها، فازدهر العمران. لكن هذا لم يدم طويلا ،فقد زال للأسباب التي ذكرناها سابقا.

يذكر عبد القادر دحدوح في مقاله عن هذا الجانب بعد السقوط أن الدراسات الأثرية التي قام بها علماء الاثار، أكّدت ما جاءت به المصدر حول تخريب المدينة، لما شهدته من تقلبات سياسية[1].

قام العلماء بحرفيات أثرية لاكتشاف بعض البقايا الأثرية لتاهرت، فاكتشفت معطاوي سوفاي، حفرية أثرية تمثل حمام غير مكتمل، وحاولت وضع مخطط له ولشكله غير أنه لم يكتمل.

تتكون الأجزاء المكتشفة من الرواق (1.80م×1.70م) يتجه من الغرب إلى الشرق وهو يفضي إلى جناحين الأول ندخل إليه عبر باب فتح في جهته الشمالية(0.70م) ومنه نصل إلى الغرفة الأولى (1.90×3.80م)، أرضيتهما مبلطة بالآجر، في وسطها توجد فتحة يصل قطرها إلى (0.20م).من المحتمل أنها وضعت لتسمح بتسرب الماء إلى القنوات التي في أسفل الحمام...[2].

مما سبق وقيل حول حال عمران تاهرت بعد السقوط، يمكننا القول بأن عمرانها شهد نوعا من الدمار التدريجي، بين مد وجزر بسبب الصراعات المذهبية والسياسية على أرضها على اختلاف المسبب.

فقد قام علماء الآثار بحرفيات لاكتشاف الآثار المتبقية لعمران تاهرت لمحاولة تجسيده، لكن تعذر عليهم ذلك.

وهذا ما يؤكده حسن الوزان عندما قال: (لم نر شيئا آخر حاليا إلا بقايا تشييدات كما لاحظته أنا شخصيا.)[3]، ويضيف على هذا ابن خلدون في مقدمته عندما قال: " عمران البربر تناقص في عهد الموحدين نقصا محسوسا"[4].

---

[1]- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص691.

[2]- نفسه ص691.

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص41.

[4]- عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص659.

2- المظهر الاجتماعي لتاهرت بعد (296-612هـ).

يمكن اعتبار هذا الجانب أيضا من اهم الجوانب تضررا، نتيجة خراب تاهرت وسقوطها، لأنه يمس الإنسان مباشرة، فقد كان أهل تاهرت ضحايا هذه المعارك والحروب التي مرت على المدينة.

من أهم النتائج الاجتماعية للحروب والخراب، ظهور قبائل واضمحلال قبائل أخرى بالمدينة، فالتركيبة البشرية لتاهرت قبل السقوط، ليست نفسها بعد السقوط.

للتوضيح أكثر يمكننا وضع جدول يمثل البشرية التي بقيت ومن فرت من تاهرت نتيجة الخراب العمراني لها.

أ-التركيبة البشرية لسكان تاهرت بعد سقوط العاصمة :

جدول رقم (03): مقارنة بين التركيبة البشرية قبل وبعد السقوط الرستمي.

التركيبة قبل السقوط الرستمي	التركيبة بعد السقوط الرستمي	المصدر / المرجع	الاستئناس بعبارة
1- البربر: أ. نفوسة ب. لماية ج. مزاتة د. لواتة. هـ. هوارة. و. زناتة	1- البربر: أ. زناتة وبطونها:	- ابن عذارى، المصدر السابق، ص191.	- اعلن زناتة العصيان ضد الشيعة..
	1- بنو مرين.	ابن خلدون، العبر، ج6، ص199.	- انحصر دور بني مرين مع مواجهة صنهاجة.
	2- بني خزر.	نفسه، ص199.	- قيام ثورات بقيادة ابن خزر
	3- بنو يفرن.	نفسه، ص199.	- انحصر دور بنو يفرن لمواجهة صنهاجة
	ب. هوارة	رضا بالنية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الاسلامي حتى عودة الفاطميين إلى	- المجتمع الأشيري ضم هوارة ومزاتة الذي نقلهم زيري ابن مناد إلى أشير

		مصـــــــــــر(80-99هـ/699-973م)، مـذكرة لنيـل شـهادة ماجسـتير في التـــاريخ الوســـيط، منتـــوري قســـنطينة، 2006/2005، ص122.	
	ج. كتامة. د. صـــــــنهاجة الشمال(آل زيري) هـ. صـــــــنهاجة الجنوب(الملثمون) و. المصامدة	ابن عذارى ص202 موسى لقبـال، المرجـع السابق، ص150. ابـن خلـدون، العـبر، ج6، ص220 ابـــن خلـــدون، المقدمة، ص234.	(...مصالة ابن حبوس الكتامي كان واليا على تاهرت...) انضمت إلى الإسماعلية ونشرتها بين البربر غزى يوسف ابنتاشفين المغرب الأوسط وسار في بلاد زناتة... (دخول قبائل المصامدة إلى دعـــوة الموحـــدين بالمغرب الأوسط)
2-العرب	2-العرب (الهلاليـــون، بنـــو	ابـن خلـدون، العـبر، ج6، ص338.	(...صحب في عسكره الموحدون العرب...)

	سليم)	حدا عرسلان، مجتمع المغرب الأوسط، في العصرين الرستمي والفاطمي، دراسة تاريخية مقارنة، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، جامعة المسيلة، الجزائر، 2013-2014، ص22.	(إن التواجد العربي في بلاد المغرب ظل محدودا لا يتجاوز الجند ولم تحدث هجرة بالمعنى الصحيح إلا بعد أن انتقل الفاطميون من الغرب الأوسط إلى مصر
3- أهل الذمة	3-أهل الذمة (اليهود، النصارى)	ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ،لبنان، دت، ص72.	فرضت الخلافة الفاطمية على أهل الذمة الجزية.
4 –العبيد.	4-العبيد.	حدة عرسلان، المرجع سابق، ص26.	استمر وجود العبيد وكان أكثر حضورا في الخلافة العبيدية، مثل عبيد الصقالبة، أبرزهم جوهر الصقلي الذي حظي بأداء وظائف عليا في عهد الفاطميين من مجرد خادم في

			القصر إلى مشرف على بيت المال وخزائن وسفير القائم بأمر الله الفاطمي
5-الأندلسيين.	5-الأندلسيين	ابن حيان، المقتبس، ص ص 301،302.	من خلال رسالة ابن خزر عندما طلب المدد العسكري من الأندلس
6-العجم.	/	/	/

من خلال معطيات الجدول يمكننا القول بأن:

هناك قبائل حافظت على وجودها بتاهرت وأخرى اختفت، فبعد سقوط الرستميين، أول قبيلة حافظت على وجودها هي قبيلة زناتة البربرية، وأصبح لها دور سياسي وعسكري، تميزت بحركات التمرد التي قامت بها ضد الشيعة، وبطونها: (بنو مرين، بنو خزر، بنو يفرن) أثروا بشكل أو بآخر على الأحداث السياسية والعسكرية للمدينة خاصة بنو خزر.

أما قبيلة هوارة بقيت لمدة بتاهرت ثم ضمها زيري بن مناد إلى مدينة أشير بسبب عصيانها للخلافة العبيدية ،وقبيلة كتامة عنصر جديد دخل تاهرت مع الشيعة في الحملة العسكرية التي قادها الداعي أبو عبد الله الشيعي، فأصبح مصالة بن حبوس الكتامي واليا على تاهرت، وبهذا الحدث دخلت قبيلة كتامة المدينة، فأضحت تنتمي إلى التركيبة البشرية الجديدة لسكان المدينة.

أما صنهاجة الشمال أو ما يعرف بآل زيري، فقد انضمت إلى الإسماعلية ودفعتهم ومثلث الدرع الحامي للدولة العبيدية، واعتنقت المذهب، فقامت بنشره بين قبائل البربر ودخلت تاهرت لتواجه المتمردين على الخلافة، ليس هذا فقط بل حتى صنهاجة الجنوب دخلت تاهرت عن طريق يوسف بن تاشفين، لما غزى المغرب الأوسط وسار في بلاد زناتة، أما قبيلة المصامدة كانوا ضمن دولة الموحدين التي ملكت تاهرت .

إن الدارس لتاريخ تاهرت سيلاحظ مدى مساهمة العناصر البربرية في الحفاظ على الدولة الرستمية، فكانت لها آثار ومواقف عسكرية، لقد حافظت هذه القبائل على مكانتها حتى بعد سقوط العاصمة، والملاحظ هنا أن قبيلة نفوسة قد غابت عن الساحة السياسية، لتحل مكانها قبيلة زناتة.

أما الحديث عن العنصر العربي بالمدينة فظل محدودا لا يتجاوز الجند (ونعني بذلك القبائل العربية التي أتت مع الجنود الفاتحين، وانتشرت ببلاد المغرب، والعرب الوافدة من القيروان التي لحقت عبد الرحمان بن رستم أول مرة حاول العرب الثائرين على الأغالبة)، فلم تحدث بعد هذا هجرة بالمعنى الصحيح، إلا بعد أن انتقل الفاطميون إلى مصر، وقاموا بتهجير القبائل الهلالية وبنو سليم إلى بلاد المغرب، فدخلت هذه القبائل تاهرت في عهد الموحدين ولمرابطين مع جندهم.

أما أهل الذمة فلم نصادف في المصادر مواقف سياسية لهم بعد السقوط، إلا ابن حوقل عندما ذكرهم في سياق كلامه وقال بأن الخلافة الفاطمية قد فرضت عليهم الجزية.

والعبيد قد استمر وجودهم وازداد أكثر في عهد العبيدين بسبب تجارة الرقيق، وكان للعبيد وظائف عليا في العهد الفاطمي، لمزايا قدموها، كعبيد الصقالبة مثل جوهر الصقلي الذي كان خادما في القصر ثم أصبح مشرفا على بيت المال وسفير القائم بأمر الله.

كان الأندلسيون بتاهرت قبل السقوط تجارا وعلماء... لكن الأمر قد تغير بعد السقوط، فقد وُجدوا بالأحداث السياسية وتدخلوا فيها، خاصة في عهد محمد بن خزر عندما طلب المدد العسكري من الأمويين، وبموافقة الناصر لدين الله على طلبه، يعني دخول العساكر الأندلسية لتاهرت.

من خلال العناصر البشرية التي ذكرناها لتاهرت بعد السقوط، نلاحظ اختفاء عنصر العجم الذي شكل السلطة الحاكمة للبيت الرستمي، بسبب قتل الداعي الشيعي للإمام ومن معه وفرار البقية إلى ورجلان وسجلماسة. فيقول توفيق المدني عن هذا بأن ورجلان هي:" أولى القرى التي هاجر إليها الإباضيون"[1].

[1]- أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري للناشئة الاسلامية**، دن، الجزائر، 1948م، ص108.

من خلال دراستنا للمجتمع التاهرتي في سنواته الأخيرة وحتى بعد السقوط تبين لنا وجود عناصر مختلفة بالمدينة ومتعددة المذاهب، وبعضٌ من هذه العناصر أثّرت عليها بشكل سيء، لاختلاف العصيبات وتنوعها، وخير مثال على ذلك زعماء قبيلة زناتة الذين تسببوا في خراب المدينة.

فنجد في تاهرت بعد السقوط: اليهود والعبيد والأندلسيون والعرب والبربر،بالرغم من الدور الإيجابي الذي قدمته هذه القبائل للمدينة في سنوات الرستميين إلا أنها قد تسببت بتدهور حالتها بعد السقوط.

يقول ابن خلدون عن حماية الدولة والدفاع عنها، بأن العصبية يجب أن تكون بالنسب الواحد حتى تشتد شوكة الدولة، ويُخشى منها فيقول: (نعرة كل أحد على نسبه وعصبيته) فبالعصبية يكون التناصر والتعاون وتعظم الدولة[1] وقد استدل ابن خلدون بنص من القرءان الكريم من سورة يوسف، بسم الله الرحمان الرحيم"قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ"[2]، وفسّرها بأن العدو يهاب من خصمه بوجود العصبة، وعدم التفرق، وأكد على ضرورة النسب الواحد مع المذهب الواحد فإن حل بهم خطر هددهم لا يتسلل كل واحد منهم ابتغاء نجاة نفسه دون المقاومة، فالدولة تحتاج إلى دفاع وقتال وعلى المقاتل أن يكون صاحب عصبة قوية[3]. وهذا ما حدث بتاهرت بعد سقوطها ودخول الشيعة لها.

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص227.

[2]- القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 14.

[3]- عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص227.

ب- الأزمات الاجتماعية في تاهرت بعد السقوط:

1- المجاعة:

لقد شهد المغرب الأوسط أزمات اجتماعية كثيرة من فترة الدخول الشيعي له، وبما أن تاهرت ضمن نطاقه فلا بد من أنها شهدت نفس الحالات، خاصة بعد سقوطها. وللتوضيح أكثر يمكننا الاستدلال بنظرية ابن خلدون حول الآثار المترتبة عن سقوط الدولة فيقول في هذا الصدد: (... الدولة في أول أمرها لابد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في ايالتها، والنهوض بالعمران فيكثر التناسل، وان كان بالتدريج، فإنه يظهر أثره بعد جيل أو جيلين،... فبعد انقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي... يكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء... وآخر عمر بالدولة يكون فيه الإجحاف بالرعايا، وقلة الجبايات، فإنما يظهر أثره في تناقص العمران بعد حين، ثم إن المجاعات والموت تكثر في هذا العهد...)[1].

ويضيف أيضا أن سبب المجاعات يعود إلى عكوف الناس عن الفلح، بسبب العدوان في الأموال والجبايات، و الفتن الواقعة وكثرة المتمردين على الدولة فيقل احتكار الزرع غالبا، فطبيعة العالم في كثرة الأمطار فيقوى ويكثر الزرع والثمار على نسبتها، فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعة، فغلى الزرع[2].

من هذا النص يمكننا أن نستخلص عوامل المجاعات في نقطتين:

العوامل البشرية: تعود إلى الفتن والحروب وكثرة الضرائب على الفلاحين مع قلة احتكار الناس للزرع نتيجة العوامل التي ذكرناها.و كذلك تعود إلى عوامل الطبيعية ارتبطت بالمناخ ومدى كثرة الأمطار على الزرع. فالمناخ له دور في سيادة الجوع والرخاء، والأقاليم المعتدلة تكون أكثر حظا، فتتوفر فيها الأقوات والخيرات والحيوانات.. ..، أما غير المعتدلة فعكس ذلك.

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق، ص553.

[2]- نفسه، ص554.

وهذا ما جاءت به المصادر الجغرافية الوصفية لتاهرت، فيمكننا القول أن المناخ قد ساعد على الزرع، وهذا ما أكد عليه صاحب الاستبصار فيقول:" مناخ تاهرت شديد البرد كثير الغيوم والثلج "[1] ،فإن نقص الفلح فيسبب العامل الأول.

2-الحروب والفتن:

مع ابتداء أمر الشيعة، ابتدأت الحروب في المغرب الأوسط وعند دخولهم تاهرت سنة مئتان وستة وتسعون هجري296هـ / 909م قُتل فيها جماعة من آل الرستمية، ففي سنة مئتان وثمانية وتسعون هجري 298هـ / 911م تجول الداعي الشيعي في بلاد البربر، وحارب زناتة، وقتل الرجال وأخذ الأموال وسبى الذرية، وأحرق بعض المدن بالنار،وفي سنة مئتان وتسعة وتسعون 299هـ/912م ، أخرج عبيد الله المهدي إلى المغرب عساكره لمحاربة زناتة، فدخل تاهرت وأحرقها وقتل أهلها، بلغ عدد القتلى مئة وثمانون ألف قتيل (180.000) [2].

أما في سنة ثلاث مئة واثنا عشر هجري 312هـ /924م خرج مصالة ابن حبوس إلى زناتة من تاهرت، فأهلكهم وسبى وقتل من ناحية بنو خزر المغراوي، ودارت بينهم حرب عظيمة، وفي سنة ثلاث مئة وخمس عشر هجري 315هـ دخل أبو القاسم الفاطمي إليها وحارب أهلها[3].

إن كثرة الحروب والفتن أدت إلى ارتفاع حالة الوفيات والتقتيل، وهذا ما حدث في تاهرت من خلال تتبعنا للأحداث السياسية والعسكرية التي مرت عليها، إضافة إلى الفتن والحروب يُرجع ابن خلدون كثرة الموت إلى كثرة المجاعة، فيقول : "...أما كثرة الموت فلها أسباب من كثرة المجاعة وكثرة الفتن، لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل".

---

[1]- مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**. تح: سعد زغلول عبد الحميد، وزارة الشؤون الثقافية العامة للطباعة، بغداد العراق، د ت ،ص 166

[2]- ابن عذاري، المصدر السابق ،ص 162.

[3]- عبد الرحمن ابن خلدون، **العبر**، ج4، المصدر السابق، ص 32

كما أضاف عامل آخر وهو وقوع الأوبئة يسبب فساد الهواء لكثرة العمران لما يخالطه من الرطوبات الفاسدة، فالهواء غذاء الروح الحيواني، وعند استنشاق هذا الهواء يقع الفساد في الرئة وهذه أسباب الطاعون والموت[1].

من خلال ما تطرقنا إليه حول الحالة الاجتماعية لتاهرت بعد السقوط، يمكننا القول بأن: البنية الاجتماعية لسكان المدينة قد تغيرت بعد سنة مئتان وستة وتسعون هجري 296هـ / 909م، ما هدد سكان المدينة هي الحروب والفتن والمجاعات لتفرض حالة من عدم الاستقرار، فتضعف الحياة داخل المجتمع ويتدهور المستوى الصحي، فينعكس هذا سلبا على اقتصاد المدينة ،وسنتطرق له لاحقا.

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق ،ص 554.

3-المظهر الاقتصادي لتاهرت بعد (296-612هـ).

أ- حالة الاقتصاد التاهرتي بعد السقوط الرستمي

إن النشاط الاقتصادي كان متطورا في عهد الدولة الرستمية، خاصة عاصمتها تاهرت، فالزراعة كانت مزدهرة بسبب مناخها البارد وخصوبة أرضها وكثرة الأمطار [1]، ويذكر ابن الصغير أن تاهرت عرفت نشاطا في المدينة في عهد الإمام عبد الرحمن ابن رستم، فشرع الناس في إحياء الموات وغرس البساتين واجراء الأنهار واتخاذ الرحاء والمستغلات[2]، لقد ساعدت الأنهار المحيطة بالعاصمة في بعث النشاط الزراعي، مما دفع الفلاحين لاستصلاح الأراضي الزراعية فشهدت تاهرت نشاطا زراعيا مكثفا [3].

ويقول بحاز عن النشاط الصناعي بتاهرت بأنه وُرد بغير قصد في المصادر، ولم تتحدث عنه بشكل مفصل، حتى ابن الصغير الذي اهتم بأمورها وعُرف بقوّة ملاحظته لم يشر بأنها كانت تظم نوعا من الصناعة أو الحرف، ولا يُستبعد أن تكون هناك صناعات بها، خاصة عندما نجد في ذكرا للحدادين والنجارين والمطاحن.. .[4]، ويقول اليعقوبي عن تاهرت :" بها الكتان والسمسم والحبوب، بها نهران يشرب منه أهل تاهرت.. .لها جبل يسمى جزول به زرع لم يجدب قط ،إلا إذا حل به ريح أو برد"[5].

---

[1]- ابراهيم بحاز، **دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، المرجع السابق ص 143

[2]-ابن الصغير، المصدر السابق، ص12

[3]- ابراهيم بحاز، المرجع نفسه، ص 144

[4]-نفسه ،ص 164.

[5]- أحمد اليعقوبي، المصدر السابق ،ص 195. 196

من خلال ما تم ذكره حول النشاط الاقتصادي للمدينة، يمكننا القول بأنه كان مزدهرا خاصة في المجال الزراعي والصناعي، وحتى التجاري، بسبب المبادلات التجارية بين مناطق السودان الغربي، التي تحدثت عنها المصادر، فانتعش الاقتصاد وانعكس بالإيجاب على وضع تاهرت. لكن بعد تغير الوضع لانعدام الأمن ،فيتبادر إلى الذهن سؤال مهم وهو :هل استمر الوضع الاقتصادي على حاله بعد السقوط أم تغيير ؟.

وللإجابة على هذا الطرح، أحصينا عددا من المصادر الجغرافية المتحدثة عنه ،التي كُتبت بعد سقوط تاهرت، فهي مصادر أساسية في هذه الدراسة تقدم لنا صورة عنه حتى ولو كانت قليلة. فابن حوقل صاحب صورة الأرض (ت 367هـ) الذي بدأت رحلته سنة (331 هـ)، ودامت ثلاثون عاما، قال عنها:"تغيرت تاهرت عما كانت عليه، فأهلها وجميع من قارها من البربر في وقتنا هذا فقراء، بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط، وكثرت الموت نتيجة استباحة بلكين لها "[1]، ومن خلال هذا القول يتبين لنا أن أوضاعها قد تغيرت بعد السقوط إلى الأسوء فحديثه عن انتشار الفقر يعني تدهور المستوى المعيشي والاقتصادي للمدينة، وكثرة القحط و دوامه يشير إلى أن الجفاف قد حل بالمدينة أيام بلكين في العهد الزيري، فمن المحتمل أن ينعكس هذا سلبا على الزراعة. لكن أشار ابن حوقل أيضا إلى وفرة الأشجار والبساتين بالمدينة وأنها كانت تنتج ضروبا من الغلات، [2] وهنا يتبين لنا استمرارية الإنتاج الزراعي بتاهرت، رغم ما مر عليها لخصوبة الأراضي وبرودة مناخها.

أما المقديسي (ت380هـ) الذي نشأ بالقدس وكان تاجرا فكثرت أسفاره، حتة صار جغرافيا قرار المغرب الإسلامي، فيقول عن تاهرت : "بأنها الطيبة النزيهة، بها التين والأنهار والأشجار وتحيط بها من كل جانب تغمرها المسالك الوعرة، [3] وبها بساتين وجل ما في هذا الإقليم قد أنعش لكثرة مياهه[4].

[1]- أبو القاسم ابن حوقل، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (1992م)، ص 95

[2]- نفسه ص 87

[3]-المقديسي، **أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم**، ط2 مكتبة مديولي القاهرة، مصر، 1991، ص 221

[4]-نفسه ،ص 234

هذا النص يشير إلى خصوبة أرض تاهرت، بكثرة مياهها، الأمر الذي سينعكس إيجابا على الزراعة، فلابد من استمراريتها لأن العامل الطبيعي متوفر حسب نظرية ابن خلدون. في حين أن البكري (ت 487) صاحب كتاب البيان المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، الذي أسهب في الحديث عن المدن المغربية رغم أنه لم يزرها، تحدث عن خصائص تاهرت

فيذكر بأن :"للمدينة نهران يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة (انظر ملحق 1)ونهرا آخر يجري وتجتمع فيه العيون يسمى تاتش، ومنه يشرب أهل تاهرت وبساتينها، و هو في شرقها، فيها جميع الثمار، حسنة الشكل والطعم، سفرجلها يسمى الفارسي، وهي شديدة البرد"[1]، لعل أهم من أعطى وصفا زراعيا لها هو البكري، إذا ذكر بأن جميع ثمارها طيبة، لأهمية موقعها الجغرافي الذي جعل البساتين والأشجار والزراعة تستمر حتى بعد السقوط باعتباره قد عاش بعد 296هـ،وهذا ما يؤكد عليه القزويني (ت 623 هـ) (وهو عالم عربي مسلم ولد بالحجاز ومؤرخ جغرافي) حينما قال : "تاهرت وفيرة الثمار والأشجار وكثيرة الأمطار، قليلة الشمس، سفرجلها يفوق السفرجلات طعما ورائحة"[2]، ونفس الشيء أكد عليه أبو الفداء (ت 732هـ) المؤرخ الجغرافي، الدارس للتاريخ وأصول الدين، عندما قال :" أن بتاهرت أنهار تمر على ديار سكانها"[3]"... وهي خصبة كثيرة الزرع"[4].

أما ما جاء في كتاب الاستبصار لمجهول، عن تاهرت : أن بها نهر كبير يسمى، هُنيهة، ونهرا آخر تجتمع فيه العيون يسمى : تانس، بها سفرجل جيد الطعم والرائحة، وقرب تاهرت قلعة بها جبل خصب لهوارة فيها بساتين وثمار وأشجار ومزارع...[5].

[1]- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص 66

[2]- زكريا القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر بيروت، د ت، ص 169

[3]- عماد الدين أبي الفداء، المصدر السابق، ص 146

[4]- نفسه، ص 161.

[5]- مجهول، الاستبصار فهي عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص193.

وعند محمد عبد المنعم الحميري (ت 900هـ) الذي خلّف لنا أهم أثر بعده و هو الروض المعطار في خير الأقطار، ويعتبر معجم جغرافي يصف المدن والأمصار، فقد ذكر به تاهرت وقال عنها:".. .لتاهرت نتاج من البراذين والخيال، والغنم والعسل، والسمن وسائر الغلات الكثيرة ،... بها مياه وعيون، وعلى هذه المياه أشجار وبساتين.. .سفرجلها لا نظير له"[1].

بما أن الحميري ذكر نتاج البراذين والخيل فهذا يعبر عن وفرة الثروة الحيوانية بتاهرت، ومما لا شك فيه أنها استمرت بعد السقوط إلى عصور أخرى، لما يعرف عنها بأنها موطن للخيل.

لقد أجمعت المصادر الجغرافية الوصفية التي أتت بعد السقوط الرستمي سنة مئتان وستة تسعون للهجري 296 هـ على استمرارية الإنتاج الزراعي بالرغم من الظروف التي مرت بها المدينة، خاصة أن العامل الطبيعي متوفر ومساعد على الإنتاج، فوصف المصادر للحبوب والفواكه وذكر نوعيتها الجيدة يؤكد على استمرارية الفَلَح و ذكرهم للخيل والمواشي يؤكد على تنوع الثروة وحيوانية ووفرتها.

ومن جهة أخرى يذكر محمود مقديش وصفا لتاهرت بعد السقوط الرستمي، فيقول بأن بلكين بن زيري، تسلم أمر البلاد، و خرجت العمال باسمه والجباية كثرت على أهل بربر، كما أوصاه المعز لدين الله الفاطمي[2]، هنا يشير مقديش إلى كثرة الجباية في العهد الزيري بتاهرت، و نظرية ابن خلدون تقول بأن الجباية أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة، وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة، فزيادة الجبايات يؤثر بشكل سلبي على الاقتصاد، فهي تضرب محوره، والتوسع في فرض الجباية يؤدي إلى ترك بعض الأنشطة الاقتصادية (البناء ،التجارة.. .) فينقص العمران.

[1]- محمد بن عبد المنعم الحميري ،المصدر السابق، ص 147 - 148

[2]- محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التاريخ والأخبار**، مج1، تح:علي الزواري ،محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1988، ص 363

وهذا ما يؤكده ابن خلدون في مقدمته عندما قال :" إذا عظم العمران كثر الناس، وكثرت الأعمال الصناع حتى تصبح الدولة ذات شأن، فإذا تراجع العمران خف السكان وقلت الصنائع فتفقد الايجادة في البناء والحكم، فتقل الأعمال لقلة السكان والآلات من الحجر والرخام لأجل خلاء المصانع والقصور"[1].

إضافة إلى الفتن والحروب وغيرها، التي عادت بعواقب وخيمة على البلاد من نواحي اقتصادية واجتماعية.. . بغض النظر عن دوافعها، فصراع العامة ضد الخضوع للسلطة متمثل في دفع الضرائب. فإذا أمعنا النظر إلى هذه الفتن نجدها موجهة إلى قبائل زناتة بتاهرت، والأرجح أن رفضهم للخضوع يعني رفضهم دفع ما فُرض عليهم من جبايات وضرائب، إذا علينا أن نتذكر أن كتامة كانت ترفض دفعها، ربما تحالف صنهاجةمع الفاطميين قد أعفاهم من دفعها، لهذا كان على زناتة أن تتحمل القسط الأعظم.

ونظرا لأنها قبائل بدوية في الغالب، فإنها أبت دفع الضرائب، لأنها ترى فيها الذل والخضوع. إذا كانت عملية الجباية في المدن سهلة، بحكم سهولة تحديدها على التاجر أو الصانع.. . فإنها عكس ذلك في الأرياف. من جهة أخرى ان كانت التجارة والصناعة في حقيقتها لا تعدان انتاجا، فإن الزراعة هي الباب الوحيد للإنتاج الحقيقي، ومن هنا وقع تركيز الفاطميين على الأرياف[2]. فأصبحت تاهرت قاعدة للجيوش الفاطمية يقوم الوالي بها. يسد نفقات الجيوش من مُؤن وعتاد حربي بهذه الجبايات، المفروضة على أهلها[3].

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، المصدر السابق ،ص 664

[2]-جودت عبد الكريم، **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط، خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، مكتبة طريق العلم، بن عكنون، الجزائر، د ت ص 452

[3]-المرجع نفسه، ص 422.

أما الحبيب الجنحاني يقول عن تاهرت، بأنها مركز تجاري يربط بين مسالك الصحراء و الأندلس، وهي حلقة وصل أساسية في التبادل التجاري بين المشرق و المغرب[1]، وبها الذهب والرقيق الذي اشتهرت به، و أصبح أساس المبادلات التجارية بينها وبين السودان[2]، ويقول أن سبب الازدهار الاقتصادي بتاهرت هو موقعها الجغرافي، فانحصر في الفلاحة والتجارة وتربية المواشي وزراعة الحبوب[3] وبعد السقوط أخذ الصراع بين العبيدين بالمغرب و الأمويين بالأندلس الطابع العسكري و السياسي، ليتجاوز ذلك فيصبح في الطابع الاقتصادي، ورغبتهم في السيطرة على المسالك التجارية، فاشتد الصراع الاقتصادي على تاهرت باعتبارها مسلك لتُجار الذهب و الرقيق إلى الصحراء[4].

فشخوم سعدي يقول أن أهم أثر مباشر لهذا الصراع هو انهيار الأسواق التجارية، باعتبار أن تاهرت حلقة وصل تجارية بين افريقية والمغرب الأوسط والزاب و الأندلس إلى أقاصي المغرب وبلاد السودان، فالتجارة تزدهر بأسواقها و انتقال التجار لها[5].

من جهة أخرى تقول هرباس جازية عن الجانب الاقتصادي لتاهرت أيام حكم الحماديين لها، بأنها بُعثت من جديد بظهورهم على أرضها، الذين اهتموا بالعمران والاقتصاد، ولا نجد سوى إشارات قليلة حول تاهرت في حدود المملكة الحمادية، التي شهدت بناء العديد من المدن، مع الإشارة إلى بداية الغزو الهلالي سنة (442هـ/1050 -1051 م) فكانت لتاهرت أهمية اقتصادية بالغة سواءً كان الأمر يتعلق بالزراعة أو بالتجارة، فمن الناحية الزراعية وجد بها السفرجل كما ورد البكري[6].

---

[1]-الحبيب الجنحاني، **المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية و الاجتماعية** ،عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت 1990 ص 83

[2]-نفسه، ص 84.

[3]-نفسه، ص. 137

[4]-انفسه ص 267.

[5]-شخوم سعدي، المرجع السابق ص 521

[6]-هرباس جازية، المرجع السابق ص 164

ويؤكد على هذا الإدريسي عندما ذكر خيراتها، فيقول :" بأرضها مزارع وضياع جمة، وسائر غلاتها كثيرة ومباركة...ومياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارها... ولهم من هذه المياه بساتين و أشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة... "[1].

اهتم الحماديون بتربية الحيوانات، فشملت البقر والغنم والخيل والبغال والإبل والنحل، فعرفت إنتاج البراذين والخيل، أما التجار كانت مزدهرة كما ذكر الإدريسي: "أن بها ناس من البربر لهم تجارة وبضائع وأسواق عامرة"، كانت لتلك البضائع أوزان ومكاييل، ذكرت في المصادر الجغرافية، كان اللحم بتاهرت يوزن بالرطل، ورطل اللحم يساوي خمسة أرطال عادية. وعادت الحياة للطرق التجارية التي ربطت بين مسيلة والقيروان وأشير وقرية سطيت بتاهرت[2].

مما سبق وقيل حول اقتصاد تاهرت في فترة ما بعد السقوط نستنتج أن الاقتصاد قد تأثر بعد سنة (296هـ) فلم يبق كما كان، فالحديث عن الزراعة يظهر لنا بأنها استمرت، لتوفر العامل الطبيعي بالرغم من الحروب والفتن التي شهدتها المدينة، أما الصناعة فقد تأثرت بفعل الحروب وخراب العمران بالمدينة، لقد أشارت المصادر إلى ندرتها، خاصة في العهد العبيدي.

أما في العهد الحمادي تقول الأستاذة هرباس أن الاقتصاد قد انتعش لعودة الأمن إلى المدينة الذي يشكل عنصر أساسي في الارتقاء بالاقتصاد. أما الحديث عن اقتصاد تاهرت في العهد الموحدي والمرابطي، لم نصادفه في المصادر، فقد اهتم المؤرخون في هذه الفترة بالحديث عن الجانب السياسي والعسكري فقط.

[1]-الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج1، مكتبة الثقافة الإسلامية الدينية، القاهرة، مصر 22 14 2002 م، ص 255 ،256

[2]- هرباس جازية، المرجع السابق، ص164

4- المظهر الفكري لتاهرت بعد (296-612هـ).

كان لتاهرت دور بارز في الارتقاء بالحياة بالمغرب الأوسط، فقد كانت تلي القيروان، ويعود ذلك إلى أن الحكام الرستميين شجعوا الحياة الفكرية فبرزت المدينة كمركز ثقافي كونها عاصمة الدولة، و لأن بها مكتبة المعصومة التي تضم الآلاف من الكتب القيمة، لكن كل هذا اختلف بعدما سقطت تاهرت سنة 296 هـ وبعدما شهدت كل تلك الفتن والحروب و المجاعات والتدهور في حالة الاقتصاد، لابد لهذا بأن ينعكس بالسلب على الحالة العلمية و الفكرية بتاهرت. فكيف واجه العلماء التاهرتيين هذا الخطر الذي حل بالمدينة ؟

أ-رثاء الشعراء لتاهرت المخربة :

بعدما أحرق الداعي المكتبة والكتب، وبعدما قام إسماعيل المنصور بإحراق المنبر، فاضطربت الأوضاع بتاهرت، باعتبارهما مركزا من المراكز العلمية القيمة بالمدينة يكون هذا الفعل تهديدا مباشرا للعلماء.

ولعل أبرز الشعراء التاهرتيين الذين ندّدوا بالدخول العبيدي هو بكر بن حماد بن سمك بن سماعيل الزناتي التاهرتي، الذي نشأ بتاهرت وتوفي سنة 296 هـ عن عمر يناهز الستة وتعسون سنة، نبغ في الشعر ونظم قصائد في أغراض مختلفة (الوصف، المدح، الرثاء..) كما أنشد بكر أشعارا في صفحات من الكتب و المخطوطات، اكتسب جودة شعره من رحلاته المستمرة، رحل إلى المشرق سنة 217 هـ التقى بالشعراء مثل :دعبل الخزّاعي، وأبي تمام، أثرت هذه الرحلة المشرقية على فكره، ورجع إلى القيروان و أقام بها[1]، يذكر بحاز أن رابح بونار قال عنه بأنه أنبغ شخصية في الشعر الغنائي بالمغرب، لا نجد له نظير في عمق التفكير و الأصالة البيانية.[2]

[1] إبراهيم بحاز، **دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية**، المرجع السابق، ص ص 361. 362

[2] -نفسه، ص 363.

يقول بكر بن حماد في رثاء تاهرت بعد تخريبها:

زارنـــا منـــازل قـــوم لم يزورونـــا انـــا لفـــي غفلـــة عمـــا يقاســـونا

لـــو ينطقـــون لقـــالوا الـــزاد ويحكـــم حـــلّ الرحيـــل فمـــا يرجـــو المقيمونـــا

المـوت أجحـف بالـدنيا ،فخـر بهـا.. وفعلنـــا فعـــل قـــوم لا يموتونـــا

فـالآن ابكـوا فقـد حـق البكـاء لكـم فالحـــاملون لعـــرش الرحمـــان باكونـــا

مـــاذا عـــني تنفـــع الـــدنيا مجمعهـــا لـــو جمـــع فيهـــا كنـــز قارونـــا[1]

من خلال دراستنا لمضمون الأبيات الشعرية، يتبين لنا أن التخريب العبيدي لتاهرت أثر على الشاعر بكر بن حماد، بعدما شاهد خراب مسقط رأسه، ويصور لنا معاناة أصل تاهرت عندما ذكر القسوة و الألم، بعد تلك الأفعال الشنيعة التي كانت على أهل تاهرت. فيدعو الشاعر سكانها بالرحيل أو المقاومة لحد الموت و أن لا يرضوا بالذل.

ويذكر شخوم شاعرا آخر تحدث عن ما حل بتاهرت من خراب فقال :

خليلـــي عوجـــا بالرســـوم وســـلما علـــى طلّـــل أقـــوى و أصـــبح أغـــبرا

ألمـــا علـــى رســـم بتـــاهرت دائـــر عفتـــه الغـــوادي الرائحـــات فـــأفقرا

كـــأن لم تكـــن تيهـــرت دارا لمعشـــر فـــدّمرها المقـــدور فـــيمن تـــدّمرا.[2]

يبين الشاعر لنا هنا حالة عمران تاهرت بعد التخريب فبذكره للأطلال يصور لنا حالة المدينة، وكيف تحولت من عامرة ذو عمران قوي إلى مدينة مهجورة مخربة، أما عندما قال عفته الغوادي الرائحات فأفقرا، هنا يشير إلى حالة العمران المتدهورة نتيجة خرابه.

[1]-محمد بن رمضان شاوش، **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي**، ط1، المطبعة العلوية مستغانم، الجزائر 196م، ص 90

[2]-شخوم سعدي، المرجع السابق، ص 517.

ب- هجرة العلماء :

شهدت بلاد المغرب الأوسط هجرتين : هجرة داخلية وخارجية، الهجرات الداخلية مرتبطة بحد كبير بالمرحلة الاجتماعية التي تعيشها بعض القبائل و القائمة على الترحال، ويرتبط هذا على عنصر الأمن. أما إذا واجهها غزوا أو كارثة تجد القبائل نفسها مجبرة على الهجرة إلى خارج البلاد[1].

من جهة أخرى يرى الدمشقي أنه إذا اجتمع الجوع و الفقر والضعف فيجب أن يبادر الإنسان بالانتقال عن مملكته، فهو أحمد و أحزم في المبدأ و العاقبة[2].

وهذا ما حدث بتاهرت، فقد أدت العوامل الاجتماعية من فقر وجوع وتدهور في الاقتصاد وخراب للعمران و انعدام الأمن، إلى هجرة علماء زناتة منها إلى ما وراء البحر، فقد هرب سكان تاهرت من القوة التي قهرتهم كالفاطميين، وفي نفس الوقت كان باب الرزق مفتوحا لهم بالأندلس، فكان الأمير الأموي عبد الملك المطفّر ينادي في المهاجرين على من أراد الثبات في الديوان براتب دينارين في الشهر أن يستوطن هذا الحصن، فإن فعلله مع ذلك المنزل والمحرث[3]، فرغب ذلك خلق عظيم، واستقروا به، من جهة أخرى كانت الأندلس مهيأة لاستقبالهم فهي دار الجهاد، فكان الأمويون بحاجة إلى الرجال وقد وجدوا ببلاد المغرب مصدرا لهم[4].

من خلال ما جاء في النصوص التاريخية يمكننا القول بأن الهجرة إلى الأندلس كانت بين مد وجزر بسبب وقوع الحروب، لتخف حركتها في سيادة الأمن، وهذا ما أثر على العلماء بشكل سلبي، فقرّروا البحث عن موطن يأويهم و يأوي علمهم لتدهور الحالة الاجتماعية للمدينة، وقد هاجر العلماء من تاهرت نتيجة هذه العوامل.

---

[1]-عبد الكريم جودت ،**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**، المرجع السابق ،ص 435

[2]-الدمشقي، **الإشارة إلى محاسن التجارة**، تح : البشري النرويجي، مطبعة الغد الإسكندرية، مصر 1397 هـ 1977م، ص 73.

[3]-عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص 436 ،437.

[4]-نفسه، ص 43.

1- العلماء المهاجرين إلى المغرب الأقصى:

نجد أحمد بن فتح المعروف بابن خزر، أديب وشاعر من أهل تاهرت حلّ إلى البصرة المغربية، ومدح أبا العيش عيسى بن براهيم بن القاسم ابن ادريس بقصيدة ذكرها الياقوت في وصف نساء البصرة، اللواتي اختصصن بالجمال الفائق[1]، ثم انتقل إلى مدينة مليلة و كان قاضيا فيها، طالت إقامته بها حتى نُسب إليها، وعُرف بأحمد بن فتح المليلي، لكن الحروب التي شهدها المغرب من عساكر الشيعة جعلته يذهب إلى الأندلس، فأجاره الناصر الأموي سنة ثلاث مئة و خمسة وعشرون للهجري 235 هـ/936 م ظل بقرطبة حتى مات هناك 332 هـ/943 م[2].

ونجد أيضا : عبد الله بن محمود بن هلوب بن داوود بن هلوب بن داوود بن سليمان، يكنى بأبي محمد الطنجي، موضعه و أصله من تاهرت، له شعر في مناسك الحج، أخذ و تعلم بقرطبة على يد أبي الأصيلي و ابن الهندي، كتب إلى أبو الفضل.[3] عاش في القرن الرابع هجري و توفي سنة 399 هـ. ومنهم حسين بن أبي السعد بن سيّد الدار بن يوسف التميمي من مواليد فاس سنة 428 هـ/1036م كان جده حسن قد خرج من تاهرت، وأصبح قاضيا بفاس، وهناك فرضية تقول بأنه من المحتمل أن سبب هجرته من تاهرت تعرض للاضطهاد الشيعي كما تعرض له فقهاء القيروان.

2- التاهرتين المهاجرين للأندلس :

نجد القاسم بن عبد الرحمان، الذي دخل الأندلس مقيما بها، سنة ثلاث مئة وسبعة عشر 317 هـ/929 م، وابنه أبو الفضل أحمد ابن القاسم بن عبد الرحمان التاهرتي البزار[4].

---

[1]-عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافة للتأليف و الترجمة بيروت، لبنان، (1400 هـ /1981 م)، ص58

[2]-عبد الكريم جودت، **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية**، المرجع السابق، ص 444

[3]-ابن بشكوال، **الصلة**، ج1، تح : إبراهيم الآبياري، ط1، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت (1410 هـ/1989م)، ص452.

[4]-جودت عبد الكريم :**الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية**، المرجع السابق ،ص438

أحمد بن القاسم بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزّار، يكنى أبا الفضل رحل إلى قرطبة صغيرا، وروى بها عن القاسم ابن الأصبغ و أبي بكر بن الفضل الدينوري و أبي عبد الملك بن أبي ديلم ومحمد بن معاوية القرشي و محمد ابن عيسى ابن رفاعة[1].

قال عنه ابن عبد البرّ: "كان ثقة فاضلا اختص بالقاضي منذر بن سعيد، وسمع منه تواليفه كلها، وقد لقيته وسمعت كثرا منه "، [2] ذكره الخولاني و قال عنه : "كان شيخا صالحا زاهدا في الدنيا، منقبضا عن الناس، مائلا إلى الخمول "[3] توفي في جمادى الآخر سنة 395 هـ[4].

يُرجع جودت عبد الكريم سبب هجرة أحمد بن القاسم و أبوه إلى ما آلت إليه تاهرت [5].

و من بين المهاجرين زكريا بن بكر بن أحمد الغّساني التاهرتي، ويلقب بابن الشيخ، من أهل تاهرت، يكنى أبا يحي، دخل الأندلس مع أبيه و أخيه سنة ثلاث مئة و ستة و عشرون هجري 326 هـ/937م[6]. و أيضا أبو الحفص عمر بن مالك المعروف بالتاهرتي، كان حيّا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وربما كان دخوله أو دخول أبيه في القرن الرابع هجري إلى الأندلس[7].

مما سبق ذكره، نستنتج بأن تدهور الأوضاع السياسية و العسكرية بتاهرت، انعكست أثارها مباشرة على الحياة الحضارية بالمدينة. فكما أشرنا سابقا إلى خراب العمران الذي شمل مراكز التعليم، فهذا يعني خراب الحياة العلمية بالمنطقة، فالشيعة عندما أحرقوا المكتبة و ما تحمله من كتب، طمسوا هوية وتاريخ تاهرت، ولهذه الأسباب هجر العلماء من المنطقة إلى مكان آمن يأوي علمهم و بهجرتهم تفقد تاهرت أهم عامل لها في الارتقاء بالحياة العلمية.

---

[1]-ابن بشكوال، المصدر السابق ،ص 140

[2]-عادل نويهض، المرجع السابق ،ص58

[3]-ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 140.

[4]-نفسه، ص 140.

[5]- عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص438.

[6]-نفسه، ص 438.

[7]-عبد الكريم جودت، **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية**، المرجع السابق ،ص439

خاتمة

الخاتمة:

من خلال بحثنا هذا حاولنا الإلمام بأهمّ المحطّات الأحداث التاريخية التي مرت على تاهرت (السياسية، العسكرية، الاقتصادية، الفكرية) منذ سقوطها إلى غاية زوال العمران بها، فتوصلنا إلى مجموعة من النتائج نذكرها:

لم يكن هناك رد فعل للأئمة الرستميين على الاقتحام الشيعي لأرضها، سوى الهروب بعائلاتهم إلى مناطق الدعوة الإباضية فقد شهدت المدينة أحداث تخريبية على عمرانها بشكل تدريجي من فترة حكم العبيديين لها، الذين كانوا أول من استباحها وأحرقها، بقيادة الداعي إلى المهدي وما خلفهما.
لم يرض أهل تاهرت هذه القوى الجديدة التي حلت على أرضهم فقاموا بثورات على الفاطميين ما انعكس بالسلب على عمران المدينة.

خرب الزناتي أبي خزر المدينة بدعم من الأمويين في الأندلس، فاشتد الصراع بالمنطقة نتيجة دخول قوى عسكرية جديدة للأحداث بعد ذلك خُربت تاهرت مرة ثالثة مع آل زيري خليفة الشيعة في المغرب خاصة في عهد بلكين لتشهد المدينة فترة هدوء سياسي مع الحماديين عندما أصبحت ضمن مجالهم الجغرافي.

انتهى دور تاهرت الحضاري والعمراني مع الصراع الموحدي والمرابطي على أرضها 612هـ مما أدى إلى ظهور فئات جديدة في المجتمع التاهرتي واضمحلال قبائل أخرى بالمدينة فانتشرت الأوبئة والتقتيل داخل المجتمع التاهرتي.

انعكست هذه الأوضاع السياسية والعسكرية على الحياة الحضارية بالمدينة فكما أشرنا إلى خراب العمران الذي شمل مراكز التعليم، فهذا يعني خراب الحياة العلمية بالمنطقة . لكن النشاط الزراعي بتاهرت قد استمر بعد سقوط نتيجة وفرة الأراضي الخصبة وطبيعة مناخها بالرغم من الحروب التي شهدتها المنطقة. أما نشاط الصنائع والحرف فقد تأثر بفعل الحروب وخراب عمران المدينة ولكن في فترة حكم الحماديين للمدينة انتعش النشاط الإقتصادي، كل هذه العوامل التي ذكرناها انعكست آثارها مباشرة على الحياة الحضارية بالمدينة، فهاجر العلماء منها إلى مكان آمن يأوي علمهم.

الملاحـــــــــــــــــــق

الملاحق

الملحق رقم 1: نهر مينة . صورة حديثة [1]

[1]- صورة تحصلنا عليها مباشرة من قبل الفوتوغرافي خليفة محمد.

قائمة الجداول والأشكال:

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
الجدول رقم (01)	يمثل الولاةالعبيديين الذين مرّوابتاهرت من السقوط 296هـ حتى سنة(349 هـ)	41
الجدول رقم (02)	يمثل الأماكن المخربة من عمران تاهرت خلال العصر العبيدي	59
الجدول رقم (03)	مقارنة بين التركيبة البشرية قبل وبعد السقوط الرستمي	66

المصادر والمراجع

قائمة الببليوغرافيا:

القرآن الكريم برواية ورش

قائمة المصادر:

1- ابن بشكوال، الصلة، ج1، تح : إبراهيم الآبياري، ط1، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت (1410 هـ/1989م).

2- البكري أحمد، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، دن، دم، دت.

3- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي للنشر، 1983.

4- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في الخير الأقطار، دن، دم، دت.

5- ابن حوقل أبو القاسم صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (1992م) .

6- الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م.

7- ابن حيان القرطبي، المقتبس، ج5، تح: شال ميتاوكورنيطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب الرباط، مدريد إسبانيا، 1979.

8- ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ج 4، ج6، ج7، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

9- ابن خلدون عبد الرحمان ، مقدمة ابن خلدون، تح: هيثم جمعة هلال، ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1428هـ- 2007م.

10- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد. طبقات المشائخ، ج1، تح: ابراهيم طلاي، دت.

11- الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، تح : البشري النرويجي، مطبعة الغد الإسكندرية، مصر 1397 هـ 1977م.

12- أبي زرع الفاسي علي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972.

13- أبو زكريا الورجلاني، سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979م.

14- الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الإسلامية الدينية، القاهرة، مصر1422- 2002 م.

15- الشهرستاني أبي الفتح محمد عبد الكريم، الملك والنحل، تح: عبد العزيز محمد وكيل، مؤسسة (اوكلي وشركاه للتوزيع، القاهرة، مصر.

16- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وابراهيم بحاز، دط، دار الغرب الاسلامي، 2006.

17- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، مج1، تح: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد،ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ2013م.

18- أبو الفداء عماد الدين ، تقويم البلدان، تح: ماك كويك ديسلار، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.

19- الفداء اسماعيل علي، تقويم البلدان، تح: رينود البارون ماك كوكين ديسلان، ط1، دار الطباعة السلطانية، باريس، فرنسا شهاب الدين التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج22،تح: عبد المجيد ترجيني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

20- القزويني زكرياء، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.

21- ابن القوطية أبو بكر محمد عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: عبد الله الطباع، ددت، 1957.

22- المقديسي شمس الدين، أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم، ط2 مكتبة مديولي القاهرة، مصر، 1991.

23- مقديش محمود، نزهة الأنطار في عجائب التواريخ والأخبار، مج1، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.

24- المقريزي أحمد بن علي، اتعاظ الحنقا، ج1، دار الكتاب، مطابع الأهرام التجارية، ددن، دت.

25- النويري شهاب الدين، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج22، تح: عبد المجيد نرجيس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

26- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، دار صادر بيروت، لبنان، 1397هـ-1977م.

27- اليعقوبي أحمد بن يعقوب، البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

28- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار. تح: سعد زغلول عبد الحميد، وزارة الشؤون الثقافية العامة للطباعة، بغداد العراق، دت.

29- مجهول، تاريخ البربر (مفاخر البربر)، تح: محمد زينهم، ط1، جهاد للنشر والتوزيع، دم، دت.

30- مجهول، الفرق بين الفرق، تح: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت.

31- ابن ابي زرع الفاسي علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصورية للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972.

قائمة المراجع:

1- بحاز ابراهيم ، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2،المطبعة العربية للنشر، غرداية، الجزائر،1993.

2- بحاز ابراهيم ، الدولة الرستمية (دراسة في المجتمع والنظم)(160هـ، 296هـ- 777، 909م)، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون، رغاية، الجزائر.

3- بربر محسن، الإباضية، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2004.

4- بوروبية رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجزائرية الجامعية، 1977م-1397هـ.

5- بوركبة محمد ، الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/ 779م-909م)، دط، دار الكفاية، الجزائر، 2017م.

6- تاديوس ليفتسكي، المؤرخون الإباضيون في افريقيا الشمالية، تر:ماهر جدار، ريما جزار، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،2000.

7- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط، خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، مكتبة طريق العلم، بن عكنون، الجزائر، د ت.

8- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

9- الجنحاني الحبيب ، المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ،عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت 1990.

10- الحريري محمد ، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ط2، دار القلم، الكويت، 1987.

11- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1964.

12- دبوز محمد علي ، المغرب الكبير، ج3، ط1، دار النشر عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

13- زغلول سعد ، تاريخ المغرب العربي، (تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والادارسة في قيام الفاطميين)، ج2، دار النشر للمعارف الاسكندرية، مصر، د ت.

14- زينهم محمد عزب، قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب، ط1، دار العلم العربي للنشر، القاهرة، مصر، 2012.

15- سنوسي يوسف ابراهيم، زناتة والخلافة الفاطمية، ط1،ددم،1986.

16- شاوش محمد بن رمضان ، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ط1، المطبعة العلوية مستغانم، الجزائر 1996م.

17- ابن عميرة محمد ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.

18- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ، الشبكة الوطنية للنشر والتوزيع، دت.

19- المدني أحمد توفيق ، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الاسلامية، دن، الجزائر، 1948.

20- الميلي محمد مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دت.

21- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافة للتأليف و الترجمة بيروت، لبنان، (1400 هـ /1981 م).

الرسائل والمذكرات:

1- البشير بوقاعدة، خراب المدن في المغرب الأدنى والأوسط، (296، 909هـ/1052،547م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في تاريخ المشرق والمغرب الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2012-2013.

2- بوستة نسيبة، بحاش أسماء، مهني سميرة، الصراع المذهبي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (3-4هـ/ 9-10م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ القرون الوسطى، جامعة محمد بوضياف، المسيلة الجزائر، (2014-2015م).

3- حدة عرسلان، مجتمع المغرب الأوسط في العصرين الرستمي والفاطمي (دراسة تاريخية متقارنة)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ وسيط، المسيلة، الجزائر، 2013-2014.

4- قصيدة يحياوي، نصيرة مداني، الصراع الزناتي الصنهاجي (296هـ-461م/908-1968م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة العصر الوسيط، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، 2014م.

5- مطهري فاطمة ، مدينة تاهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (ق302هـ/ 908م)، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والاثار، تلمسان الجزائر، 2009// 2010م.

6- بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005، 2008.

المجلات:

1- بومنقار محمد، زناتة المغرب الأوسط بين مشروع تأسيس دولة قوية والاصطدام بفشل السلطة السياسية، ما بين القرى (2 4هـ/ 8-10م) ع4، مجلة العصور الجديدة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2020.

2- دحدوح عبد القادر ، تاقدمت تاهرت: معطيات ميدانية ورؤيا جديدة، مجلة دراسات في أثار الوطني العربي، ع9، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

3- شخوم سعدي، ظاهرة خراب المدن بالتراب والمغرب الأوسط أسبابها ومظاهرها وآثارها، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر.

4- فوزي خيري قواظم، ملامح من سيرة ميمون القداح، ع19، مجلة أبحاث ميسان، دت، 2014.

5- المالكي علي رؤوف، الموارد المالية والأوضاع الاجتماعية لتاهرت كما ورد عن رسالة ابن الصغير (296هـ/909م)، ع32-2012.

6- هرباس جازية، تاهرت بين الازدهار والإنهيار، مجلة الخلدونية في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، ع خ، جامعة ابن خلدون، تيارت، أكتوبر 2009، الجزائر.

المعاجم:

1- ابن منظور، لسان العرب، تع: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط1، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، مصر، 1119م.

الفهرس

الفهرس

البسملة

الآية القرآنية

الإهداء

الإهداء

قائمة المختصرات 7

مقدمة: .....أ

الفصل التمهيدي: تداعيات سقوط الدولة الرستمية..... 6

1) تعريف العمران: 8

أ) العمران لغة: 8

ب) العمران إصطلاحا: 8

2) التركيبة البشرية للمجتمع التاهرتي: 9

أ) البربر: 9

-1 قبيلة نفوسة:..... 9

-2 قبيلة لماية:.....10

-3 قبيلة مزاته: 10

-4 قبيلة لواتة: 10

-5 قبيلة هوارة:.....10

-6 قبيلة زناتة: 11

ب) العرب:.....11

ج) العجم: 13

2- المسيحيون: 16

-3 عصر الضعف الرستمي (250-296هـ):.....17
موقعة مانو: 283هـ 22
الفصل الأول: التبعية السياسيةو العسكرية لتاهرت من سقوط العاصمة إلى زوال العمران(296-612هـ/909-1216م).....26
(1 الاكتساح الشيعي العبيدي لتاهرت: 28
أ- التخريب الشيعي لتاهرت:.....29
أ- رد فعل الأئمة الإباضيين على الدخول الشيعي:.....32
ب-موقف قبيلة زناتة من التواجد الشيعي: 33
أ- خروج الشيعة من تاهرت وتوليه بولكين: 42
أ- في ذكر ابتداء أمر الموحدين والمرابطين:.....50
الفصل الثاني: المظاهر الحضارية لتاهرت بعد السقوط الرستمي (296- 612هـ/909-1216م) 54
أ- الزوال التدريجي لعمران تاهرت: 55
ب-الآثار العمرانية لتاهرت: 59
-2 المظهر الاجتماعي لتاهرت بعد (296-612هـ). 61
أ- التركيبة البشرية لسكان تاهرت بعد سقوط العاصمة : 62
ب-الأزمات الاجتماعية في تاهرت بعد السقوط:.....68
-1 المجاعة: 68
أ- رثاء الشعراء لتاهرت المخربة :.....78
ب- هجرة العلماء :.....80
1- العلماء المهاجرين إلى المغرب الأقصى:.....81
2- التاهرتين المهاجرين للأندلس :.....81

الخاتمة: 84
الملاحق 86
قائمة الببليوغرافيا: 89
الفهرس 96

الملخص:

سقطت تاهرت الرستمية على يد الشيعة الإسماعيلية سنة 296هـ/909م، فخربت المدينة وأحرقت وقتل ممن كان بها من الرستميين ومن بقي فر إلى مناطق الدعوة الإباضية بورجلان، فأصبحت تاهرت ولاية تابعة للدولة العبيدية يحكمها والي شيعي. لكن أهل تاهرت من قبائل زناتة لم يرضوا بهذا الكيان السياسي الجديد، فقاموا بعمليات تمردية وثورات تعلن رفضهم لهذا الوجود الشيعي، فإنعكست هذه الأعمال بالسلب على عمران المدينة...

استمرت النكبات على تاهرت فظهرت صراعات قبلية بين زناتة وصنهاجة فإزدادت الأوضاع سوءا على عمرانها فغابت المدينة على الأحداث الحضارية بسبب ما مر عليها من احداث. بعد هذا شهدت تاهرت تخريبا آخر في العهد الموحدي وذلك نتيجة صراعها مع المرابطين على أرضه وأعتبرت هذه الوقيعة آخر وقيعة لتاهرت سياسيا وحضاريا.

Summary:

Tahertal al-Rustami fell at the hands of the Ismaili Shiites in the year 296 AH / 909 AD, and the city was destroyed, burned and killed. Those who were in it of the Rostamites and those who remained fled to the areas of the Ibadhi call, Burglan. But the people of Tahert from the tribes of Zenata were not satisfied with this new political entity, so they carried out rebellious operations and revolutions declaring their rejection of this Shiite presence, and these actions were negatively reflected on the urbanization of the city...

The calamities continued on Tahert, and tribal conflicts emerged between Zenata and Sanhaja, and the situation worsened for its construction, so the city was absent from civilized events because of the events it had experienced. After this, Tahert witnessed another sabotage in the Almohad era, as a result of her conflict with the Almoravids on his land, and this was considered the last fall of Tahert politically and civilly.